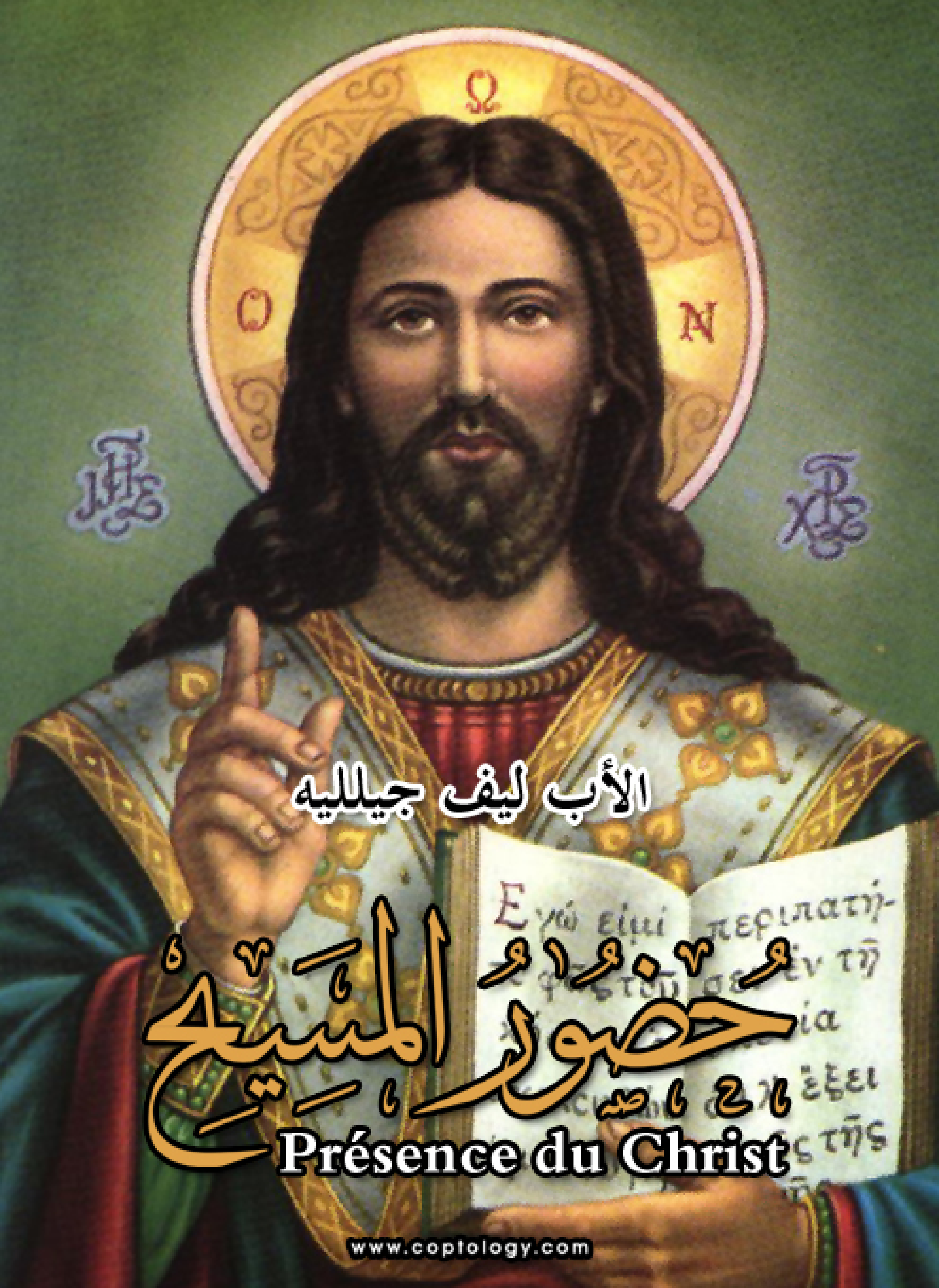


الأب ليف جيلليه

حضور المسيح

Présence du Christ

بيت التكريس لخدمة الكرازة

حُضُورُ المَسِيحِ

Presence du Christ

تأليف الأب ليف جيلليه

أغسطس ١٩٩٣

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الصادر أصلا باللغة الفرنسية Presence du Christ وهذه الترجمة العربية مأخوذة عن ترجمتين انجليزيتين لنفس الكتاب

1- A day with Jesus – Belgium 1964
2- In Thy Presence Part II
A.R Mowbrays London 1977.
by Fr. Lev Gillet.

بإذن من المؤلف قبل نياحته

أسم الكتاب: **حضور المسيح**

أسم المؤلف: **الأب ليف جيلليه**

أسم المترجم: **بيت التكريس لخدمة الكرازة**

أسم الناشر: **بيت التكريس لخدم الكرازة**

١٢ شارع الخندق حدائق القبة

ت: ٨٣٦٣٨٩ القاهرة

أسم المطبعة: **دار يوسف كمال للطباعة**

٢ ش المدارس – المليحة – حدائق القبة

ت: ٨٢٧٠٧٤ – ٨٢٣٥٧٨

رقم الإيداع: ٥٩٨٥ لسنة ١٩٩٣

ترقيم دولي: ISBN 977-252-033-8

محتويات الكتاب

عنوان الفصل الصفحة

مقدمة الطبعة الأولى

هذا الكتاب "حضور المسيح" كما يظهر من عنوانه، هو محاولة لاختبار **حضور شخص الرب يسوع المسيح** في أعمال حياتنا اليومية العادية. هو محاولة بسيطة للنفاذ إلى داخل أفكار المسيح وكلماته وأعماله، لكي يجعلها خاصة بنا، بأن يطعمها في طريقة حياتنا الخاصة.

ويحاول كاتب "حضور المسيح" **أن يرى كل الناس وكل الأشياء بعيني المسيح، مفكرا أفكاره، منصتا إلى صوته، متكلما كلماته، وآكلا طعامه. وباختصار فإن هذا الكتاب الصغير يعلمنا "كيف نصير متمثلين بالمسيح متحدين به" وهذه في النهاية هي مهمة كل الذين يعترفون أنهم تلاميذ له، دعوة كل الذين يستحقون أن يدعى عليهم أسم المسيح**.

وهذا الكتاب يعتبر امتدادا وتكميلا لكتاب سابق لنفس المؤلف وهو كتاب "**يسوع ... حوار مع مخلص**" والذي قام بترجمته اثنان من المكرسين ونشرته كنيسة مارجرجس باسبورتنج بالإسكندرية عام ١٩٦٥. ومؤلف الكتابين "**راهب من الكنيسة الشرقية"، وهو الأب ليف جيلليه**،من أصل فرنسي، وكان راهبا كاثوليكيا، ثم أنضم إلى الكنيسة الروسية الأرثوذكسية في فرنسا سنة ١٩٢٨ وظل يخدم في فرنسا وانجلترا ولبنان وعدة بلدان أخرى حتى رقد في الرب في بيت القديس باسيليوس بلندن يوم السبت ٢٩ مارس سنة ١٩٨٠ بالغا من العمر ٨٨ عاما. ويجد القارئ في نهاية هذا الكتاب عرضا لسيرة حياة الأب ليف جيلليه مأخوذا عن مجلة Sobornost وللمؤلف كتب أخرى عديدة يغلب على أكثرها الطابع الروحي التأملي الهادئ، وقد ترجم الكثير منها إلى اللغة العربية. (أنظر السيرة في نهاية الكتاب) وكثيرون من الخدام بالقاهرة يذكرون زيارة الأب ليف جيلليه للقاهرة في أبريل ١٩٦٨ حيث ألقى عدة أحاديث

روحية بقاعة رابطة القديس بالظاهر، وعقد عدة لقاءات خاصة في بيت التكريس بحلوان حيث كان يترل في فترة زيارته للقاهرة.

هذا وقد قام بترجمة نصف هذا الكتاب أحد أعضاء بيت التكريس بحدائق القبة، وقام بترجمة النصف الآخر أحدى الأخوات المكرسات ببيت القديسة مريم للمكرسات بالظاهر.

وليعوض الرب كل من تعب في الترجمة والمراجعة والتصحيح والكتابة بكل بركة ونعمة روحية.

ولإلهنا المحب الحنون أبي ربنا يسوع المسيح مع ابنه الوحيد و الروح القدس، كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى الأبد آمين.

بيت التكريس لخدمة الكرازة **د.نصحي عبد الشهيد**

الطبعة الأولى – مارس ١٩٨١

الطبعة الثانية – أغسطس ١٩٩٣

تصدر بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ١٠٠ سنة على ميلاد الأب ليف جيلليه.

١
حضور المسيح

" وَمَكَثَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ " (يو ١: ٣٩)

أيها الرب يسوع لقد أعطيت تلاميذك عطية حضورك الدائم. فلقد قلت لهم: "ها أنا معكم كل الأيام. وإلى انقضاء الدهر"(مت ٢٨: ٢٠). آه لو كنت فقط أستطيع أن أحيا بوعي مستمر لحضورك هذا! أو حتى إن أعوزني هذا "الوعي" فياليت إيماني يكون حيا للدرجة التي تجعلني في يقين دائم وعميق بأنك هنا معي، وتكون كل اتجاهاتي مطابقة لهذا اليقين!

ولكني يا رب، بعد مضي هذا العدد من السنين، فإنني بالكاد أبدأ فقط. أني ضعيف جدا! وأحتاج أن أطهر نفسي، وأزيل منها سموما كثيرة! أنني أرغب على الأقل أن أبدأ في معرفة حضورك وأن أنمو فيه، وبهذه الرغبة أقترب منك في هذا اليوم.

حينما ترك تلميذاك الأولان معلمهما يوحنا السابق، فإنهما تبعاك في صمت. ثم دعوتهما أنت لينطلقا معك قائلا لهما: "تعاليا وانظرا" (يو١ : ٣٩). فأتيا، ونظرا أين كنت تمكث. ويقول الإنجيل أنهما مكثا معك "ذلك اليوم". لقد قاما بعملية استكشاف أولية — إذا أمكن أن أقول هذا — لقد تعلمنا ما هو معنى المكوث معك. يا رب، أنني أرغب اليوم، وفي هذه اللحظة بالذات، أن أقوم بعمل مثل هذا.

يا رب، أقبل قصدي وباركه في أن أقضي "يوما" معك. فإنني أود أن أعرف : هل أستطيع؟ وكيف أستطيع أن أحيا معك يوما بأكمله؟. أنني أود أن أجرب نوعا من "الاختلاء" الذي فيه تكون أنت بذاتك المرشد الروحي في حديث شخصي تسوده الألفة

الكاملة. أنه اختلاء قصير جدا، ولكن ما أحب أن أحصل عليه، هو اكتشاف الخطوط العريضة للطريق الذي لابد أن أتبعه.

يا رب، لقد منحتني **امتيازا ثمينا** : إذ أعطيتني الوقت والإمكانية لأنفرد بنفسي معك، وأنظر إليك، وأنصت لك، دون أن أكون مشدودا ومربوطا بارتباطات خارجية عاجلة. فأي مسئولية تكون مسئوليتي إن كنت لا أستفيد من هذا الامتياز أكبر فائدة! إن آخرين قد دعوا أن يطلبوك ويجدوك في أشكال أخرى، فقد يقابلوك في حياتهم الزوجية أو في عنايتهم وحنانهم على أطفالهم الصغار (وكثيرا ما يكون ذلك في عمق وبذل أكثر من أصحاب هذا الامتياز الذي نلته أنا). ولكن اختبار حضورك التي أود أن احصل عليها، تختلف عن اختبارهم. ومع هذا فإن كثيرا من أوجه هذين الاختبارين تعتبر واحدة، وإذا قرأ هذه السطور بعض الرجال والنساء الذين يعيشون الحياة "**العادية**"، فإني أرجو أن يكتشفوا أن كثيرا من الأمور التي تقال هنا، ليست غريبة عليهم أبدا، أما بالنسبة لي أيها الرب يسوع، فما دمت واحدا من أولئك الذين وضعتهم خارجا عن الطريق التي يسلكها السواد الأعظم من الناس، أذن فوق في داخلي الاعتقاد بأنك أنت، أنت وحدك، هو غايتي المباشرة والمطلقة، وأنه لابد لي أن أقترب من شخصك مباشرة.

وكيف أقترب منك؟ سوف أفعل ذلك بأبسط الطرق. وسوف اقرأ في إنجيلك ما قلته وما فعلته. سوف أحاول بمنتهى البساطة، أن أجعل أعمال اليوم "**مملوءة من تأثير الإنجيل فيها**".

أنني أوقر أولئك الذين يعرفون أكثر مني، ويسلكون أفضل مني. ولكني أعرف حدودي. فلن أبغي هنا الوصول إلى قمم النكر اللاهوتي. ولن أحاول هنا التعمق في الأسرار العظيمة لاتحادنا بالمسيح وإصلاحاتها "الكنيسة" و "السرائرية". ولكن حاشا لي أن أتجاهل أو

استخف بهذا الفيض الوافر الغني المعطى لنا من خلال الأسرار! ولكن أرغب في عمله اليوم هو أن أتي لأستقي من "**الينبوع**" كما عرفه تلاميذك في البداية.

أني أريد أن أتي، كما أنا صغيرا فقيرا ضعيفا، وذلك لكي أتبع يسوع المسيح المتضع وأخدمه وأعانقه بأتضاع.

نعم أني أريد ولو، ليوم واحد، أن أعانقك وأمسك بك، أن أقتنيك. أني أريد "**حضورك اليوم**".

يا معلم، أجعل هذا اليوم – الذي سأحاول أن أقضيه بالقرب منك – أن يؤثر في حياتي، كتلك الخميرة التي تخمر العجين كله.

٢
لذكري

" اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي " (لو ٢٢: ١٩)

يا سيد، لقد قلت لتلاميذك أثناء العشاء الأخير " اصنعوا هذا لذكري " (لو ٢٢: ١٩) .. أن هذا القول له معنى خاص جدا. انه يشير إلى الخبز والخمير المقدمين، أي إلى جسدك المبذول ودمك المسفوك.

أنني سوف أتجاسر وأعطي لهذا القول تطبيقا واسعا. ولكن بدون انتهاك لحرمة المقدسات. فبدون أن أخلط بين العمل الفريد الذي قدمته في العشاء الأخير وأي عمل آخر، ومع المحافظة على كل حقيقة في مكانها السليم، فإني أريد أن تتسع هذه الكلمات المقدسة "أصنعوا هذا لذكري" لتشمل كل الأعمال اليومية التي قمت بها أنت، والتي نقوم بها نحن في حياتنا اليومية.

يا سيد، ليت كل عمل أعمله، وأعمله لذكرك**!** وخاصة في **هذا اليوم**، **"يوم الإنجيل"**، **أو "يوم الحضرة الإلهية"**... الذي أسعى فيه أن تكون كل أعمالي مطابقة لأعمالك.

وكما يحدث في كل مرة نمارس فيها سر العشاء، فنحن لا نهتم فقط بمجرد عملية التذكر، ولكن نهتم به كسر حاضر وفعال. لذلك – فأنا أصلي أن **"ذكرك هذا"**، حينما يرتبط مع أبسط أعمالنا، فإنه – بواسطة الروح المحيي – يأتي إلى بحقيقة واقعية ومعاصرة لنا، وتكون إلهية ومطابقة للإنجيل وإن كانت من نوع مختلف تماما، وعلى مستوى آخر تماما.

ولكي تصبح يا سيدي، حاضرا في كل أركان حياتي، أو بمعنى أخر لكي أن أميز حضورك فيها بأكثر وضوح، فأنني قبل كل شيء سأوحد نفسي بك في أبسط أعمال حياتي اليومية العادية. ففي أيام وجودك على الأرض كنت تقوم بالأعمال التي يقوم بها الناس كل يوم، والتي أقوم بها

أنا أيضا اليوم. فقد كنت تنام وتستيقظ، وكنت تغسل وجهك، وترتدي ملابسك، وتعمل بيدك وتستريح. كنت تقرأ وتكتب وتسير في شوارعنا، وتشترك في مناقشات الناس وتأكل وتشرب معهم. والآن أنت تقول لي "يل أبني أفعل كل هذه الأشياء لذكري". أنها رغبتك أن ينشأ بيني وبين كل عمل من هذه الأعمال التي قمت بها أنت علاقة حيه تنعكس على كل عمل أقوم به : عندما أغتسل، وأرتدي ملابسي، عندما أقرأ وأكتب، حينما أعمل وحينما أستريح، حينما أتجول بين الناس، حينما أنام وأستيقظ. فهذه الكلمات تعطي تصورا معينا للمجالات التي فيها أسعى باحثا عن حضورك.

آه يا معلم، ما هي طبيعة هذه العلاقة الحية؟ أنها فكرة رائعة تتضح أمام تفكيرنا. هل نستطيع أن نقول ببساطة أن كل أعمال أبن الإنسان على الأرض ستبقى دائما مثالا لأعمالنا نحن؟

أو ليس لنا أن نقول أن أعمال البشرية كانت أكثر من مجرد عناصر قامت عليها حياتك الخاصة؟ أليس في استطاعتنا أن نقول أيضا أن كل عمل من أعمالنا له مغزاه الروحي، وله جذوره وقوته، مرتبطا بشكل ما بمثيل له سبق أن قمت أنت به من قبل؟ فهل نستطيع مثلا أن نقول (كما قال بعض الآباء)، أنك أكلت لكي تبارك طعامنا، ونمت لكي تبارك نومنا، وأنك تعبت لكي تبارك تعبنا؟

وهل نستطرد أكثر فنقول أن كل عمل من أعمالك المذكورة في الأناجيل، ستبقى بشكل ما حقيقة وحاضرة إلى الأبد، وبنفس الدرجة حتى أن طبيعة هذه الأعمال البشرية كانت متصلة بطبيعتك الإلهية التي تتجاوز الزمان والمكان؟ ومن هنا هل يستطيع المرء أن يقول أن كل حادثة ذكرت في الإنجيل خاصة بحضورك، هي حقيقة بالنسبة لنا اليوم، كما كانت لأولئك الذين حدثت معهم، بحيث يمكننا نحن أيضا أن نختبر وندخل فيها، ليس بطريقة روحية وسرية، ولكن أيضا بطريقة طبيعية إلى حد ما؟

يا معلم، أنني لن أمتد أكثر من ذلك في هذه التأملات أو أحاول حل هذه المشكلات. بل سوف أتوقف عند عتبة هذه التساؤلات. وأترك الغوص في أعماقها لرجل اللاهوت الذي يمكنه أن يبحث عما إذا كانت حوادث الإنجيل المتعلقة بحياتك على الأرض، لها طبيعتها الخاصة في حد ذاتها وستبقى حاضرة تماما وأبدية، أو أنها تتعلق بحقبة تاريخية فقط ولا يبقى منها تأثيراتها الخارقة للطبيعة.

أن ما أؤمن به بقوة، يا رب، هو أن روحك القدوس — بمؤازرة النعمة — يستطيع أن يجعل حوادث حياتك الأرضية، حاضرة الآن أمامي، وينقلها إليّ. أني أؤمن أنه بواسطة الروح القدس، وفي الروح القدس، أستطيع أن أشترك في حوادث الإنجيل. أنني أؤمن أنه في استطاعة الروح القدس — إن أراد ذلك — أن يكتب "حياة يسوع" على صفحات روحي ويجعلني أحياها حسب إرادته. أنني أؤمن أن هناك نوع من التداخل والتغلغل والارتباط بين الأعمال البشرية التي قام بها مخلصي وبين أعمالي، وذلك بصورة فائقة للطبيعة. وكل ما يلزمني هو أن أدمج نفسي تماما في كل حادثة من أحداث حياة يسوع المسيح، وأدمج كل واحدة من هذه الأحداث تماما في صميم كياني.

أنني أرجو أن هذا اليوم الذي أمكثه مع المعلم، يكشف لي هذا.

وقبل أن أدخل التفاصيل ألا يتعارض موضوع اتحادنا بالمسيح، للتقليل من قيمه وينقص من شأنه لو نظرنا إليه مرتبطا بالأحداث اليومية في الإنجيل؟ هل من الصواب أن نركز على الأعمال العادية المألوفة التي قام بها المسيح والتي يقوم بها أيضا الناس العاديون؟ بالتأكيد أن أعظم أعمال المسيح الفادية هي : التجسد وموت الصليب، والقيامة في اليوم الثالث، وكلها تتعدى إمكانيات البشر تماما.

وبالتأكيد، فقد كانت قيامة المسيح في أورشليم هب العمل الرئيسي، وهي التي أكملت كل خدمة يسوع. ولكن بين لحم، والناصرة، وبحيرة جنيسارت، هي الأماكن التي مهدت الطريق

لهذا العمل العظيم، وكانت خطوات ضرورية على الطريق. أنني سوف أشق طريقي إلى سر يسوع من خلال الباب الضيق، وباب الصغر والبساطة. ولكل من يستطيع أن يفهم، ولكل الذين يستطيعون أن يتأملوا فإن سر الخلاص كله – من المذود إلى الجلجثة، والقبر الفارغ – موجود بطريقة محتجبة في هذه الأوجه التي سأختارها.

"أصنعوا هذا لذكري" هذا لا يعني أبدا أن نقلد تقليدا أعمى أو أن تكون أعمالنا نسخة مكررة لأعمال يسوع. وأنني لا أسعى لكي أضع قانونا أو جدولا زمنيا مبنيا على هذا اليوم الذي أود أن أقضيه معك. أن كل ما أطلبه، وكل ما أرجوه أن أحصل عليه من وراء هذا اليوم، هو إلهام قوي، وتوجيه للحياة، أي ليس "قانونا للحياة"، بل "أسلوبا للحياة".

٣
إن لم أغسلك

" إِنْ لَمْ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ "
(يو ١٣: ٨)

الغسل يزيل التلوث، ويمحو الوسخ كما أنه ينعش ويحي. يا ربي يسوع. أنك تدعوني في بداية النهار أن أطلبك وأجدك في هذا الماء الذي يغسلني.

أنك لست واهبا للماء فحسب، ولكنك أنت، بذاتك يل رب هو ذلك الماء الحي الذي قلت عنه أنه ينبوع إلى الأب. أنت هو الماء الذي يخصب الأرض القاحلة الجافة. وفي بدء النهار فأنت الندى الذي يجعل نفسي قادرة على أن تحمل الأوراق والثمار. أنت الماء الذي يروي ظمأ النفس المجدبة ويجددها. وأني أدنو من الماء بشوق واحترام، لأني أرى فيه إحدى العلامات الجوهرية لعملك. ففي وقت خلقة العالم، كان الروح يرف على وجه المياه. والآن أنا أقابل حضورك، في كل ماء وخاصة في ماء الصباح، هذا الذي ينتزعني من نعاس النوم.

أسألك، يا رب: أن يكون أول وأهم تأثير لهذا الماء الذي أنت تعطيه، بل الملء الذي هو أنت، هو نعمة تطهير نفسي. فإني آتي نحو هذه المياه التي سوف أغتسل بها. وإن كانت هذه المياه مجرد رمز فقط. ولكني أقول لك في نفس الوقت "أغسلني". وهنا تكمن الحقيقة. فحينما كنت مزمعا أن تغسل قدمي تلاميذك، ثم أتيت إلى سمعان بطرس الذي دفعه اتضاعه أن يعترض. فإنك أجبته "إن كنت لا أغسلك فلن يكون لك معي نصيب"(يو ١٣: ٨). يا رب، عن كل شهوتي أن يكون لي معك نصيب. أغسلني إذن. أغسلني تماما. فلست مثل تلاميذك الذين كانوا أنقياء بالفعل. كما أخبرتهم، أنهم ليسوا بحاجة إلا على غسل أرجلهم من غبار الطريق

الذي علق بهم. أغسل يدي ورأسي. أغسل كل جسدي. حممني وأعط نقاوتك لكل ما يحتاج إلى تطهير في عقلي، وفي إرادتي وفي حواسي. وفي عواطفي.

يا رب ها هي المياه تنسكب علي.وإذ أتذكر خطاياي أرفع إليك كلمات المرنم "أغسلني كثيرا من أثمي و من خطيئتي طهرني، طهرني بالزوفا فأطهر، أغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز٥١: ٢و٧)، وكأني أسمع استجابتك. وأكرر بفرح وإيمان ما نادى به أشعياء النبي باسمك قائلا:"هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف"(أش١: ١٨). آه، يا ليتني أحصل على يقين الخلاص هذا، في كل صباح حينما أبدأ بغسل نفسي!.

يا رب، بينما يبلل الماء جسدي الخاطئ، أراك أمامي متزرا بالمنشفة، تغسل قدمي وتمسحها بالمنشفة. أني أدخل إلى داخل الإنجيل وأصير واحدا من تلاميذك في العلية. حتى تنشف قدمي. والمنشفة التي أنت متزر بها تأخذ الغبار الذي وسخهما. وبهذه الطريقة فأنت تحمل أوساخي وتنقل خطاياي إلى نفسك. فتطرح نجاستي في نارك المطهرة.

كل هذا يا مخلصي، قد حدث في وقت معموديتي. وفي كل مرة أغتسل ينبغي أن أتذكر نعمة المعمودية. لقد قلت لنيقوديموس "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"(يو٣: ٥). ولكن نعمة المعمودية قد تضيع، أنني أعرف هذا جيدا!. ولكنك في رحمتك، سمحت بأن تتجدد هذه النعمة وتصبح مثمرة مرة أخرى ونعمة المعمودية ترجع من جديد ليس فقط عندما تتوفر بعض الشروط الداخلية والخارجية، بل يمكن أن تنتعش وتتقوى في أعماق القلب كل يوم. فأنعشها في داخلي الآن بينما أنا أغتسل!.

عندما تنسكب على المياه، أراك أنت، يا رب، في الأردن تتعمد من يوحنا، لقد أردت أن تقبل هذه المعمودية، ليس لأجل نفسك بل لأجل الناس. فقد قبلت معمودية يوحنا عني أنا. وأردت أن تضع نفسك في موقف التوبة باسمنا جميعا، وباسمي أنا. هذه هي اللحظة الوحيدة في حياتك

التي أردت أن تظهر فيها كخاطئ تائب.فخطايانا هي التي أتت بك إلى المعمودية الناقصة التي ليوحنا المعمدان، في انتظار وتوقع للمعمودية الكاملة، إني اتحد بك في هذه المعمودية التي قبلتها عني. وقبل كل شيء أنا اتحد بك لكي أجدد في أعماقي قوة تلك المعمودية الأخرى التي قبلتها من تلاميذك، باسمك وباسم أبيك وباسم روحك. فأنت هو الذي قد عمدتني بواسطة الأيدي البشرية. وأنا قد اعتمد فيك أنت وإليك أنت.

والماء يرمز أيضا إلى معمودية أخرى – هي **معمودية توبة**. ولكن الماء هذه المرة هو ماء الدموع. يا رب، لقد انحنيت أمامي لكي تغسل قدمي. وأنا أجثو أمامك مع المرأة الخاطئة، فهذا هو دوري لأغسل قدميك. أغسلهما بالدموع التي أذرفها أو بالدموع التي أطلبها. هل عندي أي دموع؟ آه، أعطني دموعا! أكسر قلبي! فما أقوى معمودية الدموع المشتعلة هذه، فإنها تستطيع أن تتمم لمرات عديدة، ما سبق أن منحته المعمودية الأولي. وسواء في معمودية الدموع أم المعمودية الأولي، فأنت هو الذي تعمد. لذلك لن أغسل نفسي فيما بعد، كأول شيء أعمله في الصباح بدون أن أفكر، أن هناك مياه أخرى تستعد للتفجير من عيني حينما يضرب الرب الصخرة. اضرب، يا رب، اضرب ...

يا يسوع، لقد قلت:"لي صبغة (معمودية) أصطبغها، فكيف أنحصر حتى تكمل!"(لو١٢: ٥٠). وبهذه الطريقة أعلنت آلامك مقدما. لأن هذه الكلمة "معمودية" كانت تشير، عند اليونانيين القدماء إلى الغطس العميق الخطر، وحتى إلى كارثة ابتلاع الأمواج للسفينة. إن الولادة الجديدة فيك، معناها أولا حدوث موت ودفن معك. فهل أستطيع أن أعتمد بمثل هذه المعمودية؟ وحينما يذكرني تلامسي اليومي مع المياه، بهذه الصلة المطهرة بك، فهل عزمت أن أموت عن ذاتي **اليوم، والآن؟** وإذا ما تجاوزت هذا العزم العام الغامض، فهل يمكنني أن أرى بوضوح المواضع التي فيها سوف تتم مشيئتك بانتصار (وربما بألم) في حياتي، أثناء هذا النوم؟

ولكن لا ينبغي التفكير في المياه المطهرة بمعزل عن دمك. فقد سفك دمك من أجلنا، بل من أجلي ... وخرج الدم والماء معا من جنبك الذي طعن بالحربة. وبهذه الطريقة فإن سر الماء يكشف لنا عن سر الدم.ومياه الأردن تختلط بدم الجلجثة.

يا رب، اجعلني انتبه للتجليات التي يمكن أن ترتبط باغتسالاتي اليومية. فإن كنت تغسلني، يا رب، فسوف يكون لي نصيب معك. وأن يكون لي معك نصيب فهذا معناه أن أكون شريكا في فرك ملكوتك، وشريكا أيضا في ذبيحتك. وحينما أفتح المياه في كل صباح وفي أثناء النهار لأغسل نفسي، فيمكنني في نفس الوقت أن أغتسل بالروح، وذلك بواسطة دم المخلص ومائه. أنني أعانق المعلم الذي يغسل تلميذه الملوث، وأعانق الفادي الذي يسكب دمه لآجل الناس.

٤
هذا الثوب هو المسيح

" فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ " (لو١٥: ٢٢)

الملابس هي إحدى ضروريات الحياة. ومن يستيقظ من النوم، ويغتسل، عليه أيضا أن يرتدي ثيابه. ولقد حاولت أن أقابل الرب يسوع في اغتسالي. واستطيع أيضا أن أقابله في هذا العمل من أعمالي اليومية، الذي به أغطي جسدي بالثياب.

ينبغي على الإنسان أن يرتدي ملابسه في حضرة الرب، وفي الرب. ومن الضروري أيضا أن يعرف كيف يخلع ملابسه في حضرته. فالثوب الذي يعطيه لي هو ثوب جديد، ولا أستطيع أن ألبسه إلا بعد أن أخلع ثيابي القديمة.

وعندما انفتحت أعين أبوينا الأولين آدم وحواء، وعرفا أهما عريانان، فإهما "خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر"(تك٣: ٧). وعندما كان الله ماشيا في الجنة في المساء[١]، نادى آدم وقال له: "أين أنت؟ فأجاب آدم سمعت صوتك فخشيت لأني عريان فاختبأت"(تك٣: ٩-١٠). أن أوراق التين التي اكتسى بها آدم وحواء ترمز إلى "الثوب الزائف". والغطاء الظاهري البائس الذي بلا قوة أو متانة. وهو ليس سوى التظاهر المذبذب، والأعذار الكاذبة. ونحن أيضا نستر أنفسنا بأوراق التين عندما نريد أن نظهر أمام أعين الله أو الناس على غير حقيقتنا. فإذا أردنا أن نكون متواضعين وصادقين، فإن أول ما يجب أن نهتم به هو أن نخلع كل ثياب

[١] الترجمة السبعينية تكوين ٣: ٨

مصطنعة خادعة، نتنكر ورائها. وان تظهر ذواتنا كما هي في عريها الأخلاقي. لقد قال الله لآدم:"من أعلمك أنك عريان"(تك ٣: ١١). أيها الرب يسوع، أنك أنت الذي تكشف لي عري وزيفي . فلم اعد أريد أن أغطي ذاتي بمظاهر زائفة. ولا أن أرتدي ثيابا اخترتها أنا أو صنعتها بنفسي. ولكن أرغب أن تسترني وتكسوني أنت وحدك. لذلك أسألك أن تخلع عني ثيابي لكي تكسوني من جديد.

يل معلم. ينبغي أن أخلع ثوبي أيضا عندما يعوقني عن إتباعك. فعندما قبضوا عليك في جثيماني، تبعك شاب يلبس إزارا من الكتان على عريه. وأمسكه الجند، فترك الإزار "وهرب منهم عريانا"(مر ١٤: ٥٢). فلكي يتبعك هذا الشاب – في نفس اللحظة التي تخلى فيها تلاميذك عنك وهربوا – فقد ترك غرفته وربما فراشه، ولم يضع وقته ليرتدي ملابسه، ولكنه تدثر فقط بآزار حول جسده. فحينما يدعوني حضورك فلا يجب أن أتعطل بسبب الملابس، بل يجب أن أجري نحوك مباشرة، متحررا من كل شيء، أي لا يجب أن تعوقني أية ممتلكات مادية أو فكرية أو عاطفية، سوى شخصك.

يا رب، أني ألقي بثيابي أمامك، تحت قدميك، كواحد من الجمع الذين "فرشوا ثيابهم في الطريق"(مت٢١: ٨)، وقت دخولك الظافر إلى أورشليم. وأصرخ أيضا معك هذا الجمع وبنفس ثورة حماسهم وغيرتهم: "أوصنا لابن داوود"(مت٢١: ٩) وليت أقدام الآتان الذي حملك تطأ ملابسي، بل ليت كل ما أملك يكون لك فأظل خاضعا لك دائما باتضاع.

آه يا رب، ألهمني هذه الأفكار كل ليلة حينما أخلع ثيابي. والآن يا ربي يسوع ، ها أنذا أمامك. وأنت سوف تلبسني بنفسك، فقد قرأت بتأثر شديد، الكلمات الإلهية التي سجلها حزقيال النبي، والتي أطبقها على نفسي:"فمررت بك ورأيتك مدوسة بدمك ... فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب، فبسط ذيلي عليك، وسترت عورتك وحلفت لك، ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي. فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحت

بالزيت، وألبستك مطرزة، ونعلتك بالتخس، وأزرتك بالكتان، وكسوتك بزاً"(حز١٦: ٦، ٨-١٠).

هذه الكلمات الجميلة تردد صدى آية الإنجيل التي اخترها كعنوان لهذا التأمل. ومن خلال هذه الكلمات، نسمع صوت الأب لابنه المسرف الذي عاد تائبا، نسمعه وهو يأمر أن يخرجوا له "الحلة الأولى"، لكي يلبسوا الابن الذي وجد ثانية.

ينبغي أن نزن كلمات الأب جيدا. فهو لم يقل "أخرجوا **حلتة** الأولى"ن ولكنه قال "أخرجوا **الحلة** الأولى". فهي ليست عملية بحث بين الملابس التي ربما كان الابن المسرف قد تركها في المترل، ولكن هي الحلة الأولى الموجودة بالمترل. فالأب يريد أن يعطي ابنه الحلة الأولى الموجودة بالمترل. فالأب يريد أن يعطي أبنه "الحلة الأفضل"، أي أفضل حلة يمكن أن توجد وفي أي مكان وجدت. وهكذا أيضا، فإن ابن الإنسان يبحث عن نفسي ليخلص فيها "ما قد هلك" (لو١٩: ١٠). فهو لم يكتف بان يعيدني إلى ما كنت عليه، ولا أن يرد لي تلك الكنوز التي تركتها وبددها. بل أن يزيدها، فهو يريد أن يمنحني غنى أعظم. ويهبني كل عطية صالحة وكل نعمة فائقة، يا رب، ألبسني الحلة الأولى.

ما هي أذن هذه الحلة، التي هي أفضل من الكل؟ يا رب، أنت لا تريد أن تهبني أقل من ذاتك. فقد كشف لنا خادمك بولس الرسول في كلماته القوية الموجزة عن سر الثياب بقوله "لأن كلكم الذين أعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غلا٣ :٢٧). وهكذا نجد أن سر الثياب مرتبط بسر الماء والاغتسال.

إن الله لم يسمح لآدم وحواء، بعد طردهما من الجنة، أن يستمرا في تغطية أنفسهما بأوراق التين الفقيرة. "وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" (تك٣: ٢١). وأنا أمتد إلى أكثر من المعنى الحرفي، فأرى في هذه "الأقمصة من جلد"، التي أعطاها الله لأبوينا الأولين، رمزا سابقا لخروف الفصح، الخروف الذي بلا عيب المذبوح من أجل حياة العالم وخلاصه.

ومازال سر الثياب يخفي أعماقا أخرى. وسأشير إليها بتحفظ. فأشعياء النبي يقول:"فرحا أفرح بالرب، وتبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البر، مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروس تتزين بحليها" (أش٦١: ١٠).

في كل مرة ارتدي ملابسي، فإني ألبس يسوع المسيح. وأغطي نفسي بالحبيب. وفي كل مرة ارتدي ملابسي، يمكن أن أجعل ذلك "احتفالا خاصا بلبس الزي"، يمكنني أن أجعل من كل قطعة ثياب ألبسها علامة للنعمة وموصلا لها. آه، يا من أنت هو "الحلة الأولى يا "أجمل حلة" لكل إنسان، ألبسني ذاتك كل صباح.

٥
وقام ليقرأ

" وَقَامَ لِيَقْرَأَ. فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ "
(لو٤: ١٦-١٧)

ربي يسوع، إن كان هناك يوم في حياتي ينقصني، بدون أن أفتح في **"الكتاب"** بسبب ضعفي وخطأي، فإن ذلك اليوم يكون خاليا من كل معنى. وأكون قد ضيعت لقاءاً معك، وذلك اللقاء الذي أعددته أنت ورغبت فيه!.

"الكتاب" : أي كتابك، الذي هو كلمة الله التي كتبها أنبياؤك ومبشروك ورسلك، والتي سلمتها وديعة لكنيستك. وعندما سألك ناموسي قائلا: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟"(لو١٠: ٢٥)، حولته إلى الكتاب، ذلك الكتاب الذي يجب أن يتغذى منه يوميا كل واحد من تابعيك. لقد قلت لهذا الناموسي : "ما هو مكتوب في الناموس"(لو١٠: ٢٦). أنك تريدني أن أعرف ما الذي يحويه كتابك المقدس. ولكن بمجرد أم وجهت سؤالاً آخر وهو : "كيف تقرأ؟". أنك لم تسأل الناموسي عما يحويه الكتاب، بل وصلت بسؤالك إلى أبعد من ذلك، وأسمى، ألا وهو كيفية قبول كلمتك الإلهية على المستوى الشخصي. فربما كنا نتوقع أن يكون السؤال هكذا : "ماذا تقرأ فيه"، ولكنك لم تسأل هكذا، لأن المهم هو كيفية فهم هذه الحقائق العظيمة "وقبولها". وهذا ما حدث أيضا عندما جلست في الهيكل تجاه الخزانة ونظرت "كيف" يلقى الجميع نحاسا في الخزانة (مر١٢: ٤١)، وليس فقط ما يضعونه فيها. وبينما "كان أغنياء كثيرون يلقون كثيراً" (مر١٢: ٤١)، إلا أن الفلسين اللذين ألقتهما الأرملة لهما قيمة في عينيك أكثر بكثير من كل العطايا الأخرى.

إنك تريد مني أن أقرأ الكتاب، ولكن تريدني أن أقرأ، بطريقة معينة. فآية الإنجيل التي هي موضوع هذا الفصل، توحي بأن الموضوع الذي سأتناوله هنا، هو "قراءتي الخاصة" للكتاب. وفي الحقيقة أن هذه الآية تكون مناسبة جداً : "وقام ليقرأ" (لو٤: ١٦-١٧) : فإن أول ما يجب أن أفعله بعد استيقاظي من النوم هو أن أفتح الكتاب المقدس وأبحث عنك فيه. "فدفع إليه سفر أشعياء النبي" (لو٤: ١٧) : والكنيسة لا تكف عن تقديم الكتاب المقدس لي لكي أنتبه إليه وأتأمل فيه. وأنا أقبل منها الكتاب. وأسلمته بإيمان وتقدير.

ولكني سأحاول أن أركز أفكاري ليس على "قراءتي أنا"، بل بالأولى على **"قراءتك أنت"** للكتاب. وإذ أراك وأنت تقرأ، وأستمع إليك وأنت تقرأ، سأحاول أن أتعلم **"كيف"** أقرأ أنا، لقد انعكست الأدوار. فأنا الآن خادمك الذي أوجه إليك السؤال "كيف تقرأ؟" (لو١٠: ٢٦).

يا معلم، دعني أحيا معك صفحة من الإنجيل. وأكون مع تلاميذك. لقد جئت إلى الناصرة في يوم سبت. ودخلت المجمع حسب عادتك، وها أنا أدخل معك. أن قراءة الكتاب وتفسيره، تشكل محور العبادة في المجمع. لقد قصد أن تقرأ الكتاب بنفسك وبعد ذلك أردت أن تشرح كلمة الله.

لقد أردت أن تقرأ السفر في المجمع وها أنا أترجم التعبير اليهودي إلى لغة مسيحية: لقد أئتمنت كنيستك المقدسة — أي الجماعة التي دعوتها وجمعتها — على حفظ وديعة الكتب الموحى بها. وأنا لا أريد أن أقرأ الكلمة بدون كنيستك، أو بطريقة مخالفة لها. ولأن كنيسة يسوع المسيح — أو بمعنى آخر — يسوع المسيح في كنيسته، أعظم مفسر معصوم لما كتب بوحي الروح القدس. ومع ذلك، فأنت تتوقع مني ترحيبا شخصيا حارا بالكلمة، وذلك في غرفتي الخاصة، كما في "المجمع" أيضا. والسؤال المطروح ليس فقط : ما الذي سوف أسمعه؟ ولكن أيضا : كيف سأسمعه؟.

"ودخل المجمع ..."، ثم يضيف الإنجيل : "وقام ليقرأ" لقد وقفت، وهذه الحركة تكشف عن مبادرة روحية، وإرادة موجودة فيما يخص كلمة الله. لقد وقفت: وهذا يشير إلى أن لك سلطانا ومقدرة على قراءة كلمة الله وتفسيرها تفسيرا أصيلا لكي تقدم الكلمة للمؤمنين ليشتركوا فيها.

يا معلم، دعني في كل مرة أخذ فيها الكتاب بين يدي، أن أراك واقفا في تلك اللحظة عينها، مستعدا أن تعلمني "كيف أقرأ".

"ودفع إليه سفر أشعياء النبي، و لم فتح السفر وجد الموضع ..." (لو٤: ١٧) وهذا الموضع الذي وجده هو الآية التي كتبها أشعياء النبي واقتبسها القديس لوقا، والتي تشير إلى المسيح الذي سيبشر المساكين، والمأسورين، والمنسحقين، والعمي. حقا إنها فترة مؤثرة جداً، وتتناسب تماما مع رسالة المخلص. ولكن ما أود أن أتذكره هنا، هو هذين العملين : أولا "فدفع إليه السفر" ثم "ولما فتح السفر وجد الموضع".

ربي يسوع، أني أسلمك الكتاب، وبدلا من أن أقرأه بنفسي، فأني أريد أن أسمعك أنت تقرأه. وهذا يعني، أنه أثناء القراءة، ينبغي أن أضع جانبا كل مشغولياتي الشخصية، وكل أفكار، وكل تفسيرات قد تنبع من ذاتي. أنني أصمت في داخلي حتى ينطق صوتك فيّ بكلمة الله لي.

يا رب. أفتح السفر "وأوجد الموضع". ومهما كان الجزء الذي سيقرأ في المجمع محدداً. فإنه قد كتب لي شخصياً لهذا اليوم. فسواء سمعت الإنجيل يقرأ في الكنيسة، أو كنت أقرأ في مخدعي الخاص، فأنا أعلم أنك، إن كنت أنت القارئ فهناك دائما أصحاح أو ربما آية، أو حتى كلمة واحدة – تتناسب مع حالتي الراهنة في تلك اللحظة. وإن فتحت كتابي المقدس كيفما أتفق، فأنا أعلم أنه لو وقعت عيناي على أول جملة أقرأها وما يجاورها أو ما يليها – فإذا كان قلبي ممتلئا بك فسوف أكتشف حالا، الكلمة التي تهزني أو تعطني الدفعة التي أحتاجها. فيكون هذا هو "الموضع" الذي أجدك فيه. وسوف يكون هذا الموضع بمثابة أمر أو "أوامر بالسير" سوف

أحملها معي خلال عمل اليوم، ومنها سأستمد حياة لنفسي بينما اليوم يمر. وسيكون هذا "الموضع" كلمة محملة بالقوة – كلمة "سرائرية"، تقودني وتقوني في رحلتي.

"ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس" (لو٤: ٢٠). يا سيد، لقد انتهيت من القراءة. والآن، أعد الكتاب ليس لخادم المجمع، ولكن سلمه لي، أنا خادمك المسكين، حتى أستطيع أن أتسلم من يديك الكتاب الذي كنت تقراه لي، الكتاب الذي قرأناه معا. فلو أنني استلمت من يديك الكتاب فسوف تزداد قيمته ويزداد حبي له ... فإن عملية تسليمه يد ليد ستجعلني أشعر بأن كل جملة من الكتاب المقدس هي هبة ممنوحة منك لي شخصيا.

ثم جلست. "جميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم ..." (لو٤: ٢٠-٢١) لقد أتت الساعة، ليس للقراءة الشكلية بل للحديث القلبي الحميم. فلا يكفيني، يا رب أن أسمع صوتك في داخلي وهو ينطق بالكلمة المقدسة. بل أريدك أن تفسر لي هذا النص الآن. إن عيني تشخصان نحوك، ونحوك وحدك. حدثني – قبل كل شيء – عن نفسك. "فابتدأ يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو٢٤: ٢٧). تحدث معي كما كنت تتحدث مع تلميذيك في الطريق إلى عمواس. ليت كلمتك تصير لي كلهيب وكنور. "ألم يكن قلبنا ملتهبا فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟"(لو٢٤: ٣٢).

وحدثني أيضا عن نفسي. عرفني كيف أطبق الكلمة المقدسة التي سمعتها في أعمال حياتي العادية لهذا اليوم. وبعد أن قرأت. قلت للذين كانوا يستمعون إليك في المجمع بالناصرة: "أنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم". (لو٤: ٢١). اليوم أبسط خطواتي، أستطيع أن أجسد الكلمات المقدسة التي سمعتها وقبلتها، وأستطيع – إن صح التعبير – أن أحولها إلى عملة سائلة. فلو أن الكتاب المقدس ظل منفصلا عن عملي، وعن راحتي وعن طعامي، وعن حديثي، فأي منفعة سأجنيها منه؟ وعندما أقترب تلميذاك اللذان كنت تشرح لهما الكتب في الطريق، إلى القرية التي كانا منطلقين إليها، فهناك تظاهرت بأنك منطلق إلى أبعد. ولكنهما منعاك قائلين:

"أمكث معنا" (لو٢٤: ٢٩). وأنا أيضا يا سيد، لا تتركني بعد قراءة الكلمة وشرحها، ولا تدعني اذهب وحدي إلى أعمالي اليومية. ولا تجعل كلمتك في حياتي شبيهة بهيكل يعزله عن البيت وعن الشارع سور من القضبان الحديدية. بل في كل عمل سأقوم به أمكث معي.

إن الكتاب الذي قدمته إليك، والذي أعدته أنت لي، والذي قرأته أنت، وشرحته لي، هو الكتاب الموحى به والذي تحتفظ به كنيستك كوديعة في يديها. ولكن يا رب، دعني أتأمل كل قراءاتي في ضوء حادثة الناصرة: **الرب يسوع يقرأ في المجمع**. أجعلني قويا للدرجة التي فيها أقرأ فقط الكتب التي أستطيع أن **"أقدمها"** لك. فأنت لا تستطيع أن تفتح وتقرأ "لي"، كتابا سيئا، أو حتى كتابا غير نافع. فإني أريد أن أطلبك وأن أجدك في كل ما أقرأه. فهناك كتب عديدة، قد لا يوجد عليها أسمك، ولكنها تحدثني عنك. أنني أقدم إليك مثل هذه الكتب مع الكتب الأخرى المكرسة لك بإخلاص، لكي تفتحها، وتقرأها أنت لي، وتنيرها لي بنورك.

٦
وكان يكتب على الأرض

" ثُمَّ انْحَنَى أَيْضاً إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ " (يو٨: ٨)

يا رب يسوع، مهما كان موضوع كل قراءة من قراءاتي – سواء كان موضوعا علميا أو أدبيا – فينبغي أن "يصير حيا" بواسطتك وأن ينقل حضورك إليّ مهما كانت الطريقة. أو بمعنى آخر ففي كل مرة أقرأ، ينبغي أن أسمعك وأنت تقرأ.

ولكن ماذا عن الكتابة؟ ألا يوجد في حياتك وفي أناجيلك شيء يعلمني أن أعبر عن الفكر بواسطة الحروف المكتوبة؟ فمرة واحدة في الأناجيل كلها نقرأ عنك وأنت تكتب... وكان ذلك في حادثة المرأة التي أمسكت في زنا. وأنا أعرف أن هذه الفقرة قد أثارت مشاكل من ناحية النص، ولكني أرى يا رب في هذا الجزء من الإنجيل، صورة من أقوى الصور إبرازا لموقفك نحو الخطاة. فرفضك أن تعطي رأيا، وصمتك الذي واجهت به أسئلة الكتبة والفريسيين الماكرة، والتحدي الذي ألقيت به في وجه المشتكين عليها: "من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر"(يو٨: ٧). وتلك الكلمات الأخرى التي وجهتها للمرأة الخاطئة "ولا أنا أيضا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضا" (يو٨: ١١). أنني أرى في كل ذلك حنانك المملوء رحمة يشرق جنبا إلى جنب مع عدلك الكامل.

ومن بين الوجوه الأخرى لهذه الحادثة، فهناك لفته أرجو أن آخذ منها الآن إلهاما. فحينما سألك الكتبة، فإنهم لم يكونوا فقط يتهمون المرأة، بل كانوا أيضا يجربونك. وأنت لم تعطهم

جوابا. ولكنك انحنيت وكنت تكتب على الأرض. وبعد أن نطقت بكلمات عن الحجر الأول، فإنك انحنيت مرة أخرى إلى أسفل وكنت تكتب.

ماذا كنت تكتب يا سيد؟ هذا سؤال يسأله أولئك الذين يجدون كل حركة من حركاتك مملوءة بمفهوم روحي يتعمقون فيه. فربما كانت كتاباتك على الأرض تعبر عن عدم الاهتمام، أو الاعتزال أو عدم المبالاة بهذه لاتهامات. وربما كان المقصود أن تعيد إلى الأذهان لوحي الحجر "المكتوبين بأصبع الله" (خر٣١: ١٨). الذين تسلمهما موسى، وهذا التلميح إلى الناموس يمكن أن يكون تلميحا إلى كل تعدي. وأخيرا ربما كانت العلامات التي عملتها بإصبعك على الأرض قد ذكرت المشتكين، بصورة قوية بخطاياهم الشخصية. وعندما سمع المشتكون عليها ما قلته عن رميها بأول حجر، فإنهم "خرجوا واحدا فواحد مبتدئين من الشيوخ على الآخرين"(يو٨: ٩). وإن كان الإنجيل لم يشر إلى وجود علاقة مباشرة بين خروجهم وبين الكلمات التي نطقت بها. ولكن لم يكن الإنجيل ليذكر كتابتك على الأرض في آيتين، لو لم تكن هذه الكتابة هي الصلة التي تربط بين الاتهام وبين المدعين بطريقة أو بأخرى.

ونحن لا نعلم ماذا كنت تكتب، ولن نعلم حتى اليوم الأخير. ولكن هناك شيئين نستطيع أن نؤكدهما:

أولا: لقد كانت كتابتك موجهة بصورة سرية نحو الحق. فبينما كنت تكتب، كان كل من المشتكين والمرأة نفسها في مواجهة مع ضمائرهم. ووجهت دعوة صامتة على عمق أعمال نفس كل منهم.

ثانيا: كانت كتاباتك تحمل الرحمة والعدل إلى المرأة الخاطئة. ترى ماذا كان إحساسها وتفكيرها وهي تراك تكتب؟، فهذا أمر يظل مجهولا بالنسبة لنا. ولكن كتابتك كانت بمثابة مقدمة لرفض الاتهام، ثم العفو، وأخيرا النصح الذي ختمته به الحادثة.

"وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب ..." ثم بعد قليل نقرأ أيضا: "ثم أنحنى إلى أسفل وكان يكتب على الأرض" (يو٨: ٦-٧). يا سيد، إن الإنجيل يؤكد بهذا، إنك انحنيت. فانك لم تكن ترغب أن تتخذ موقف القاضي الذي يحملق في المتهم سواء كان القاضي واقفا أم جالسا. بل بكل رقة وحكمة تجنبت النظر إلى المرأة الخاطئة طالما كان المشتكون عليها حاضرين. وفقط عندما خرجوا، انتصبت، ولما رأيتها وحدها بدأت تكلمها.

ربي يسوع، إنني أكرس لك كل كتاباتي. بل أني أكرس لك، ليس فقط ما أكتبه بل عملية الكتابة ذاتها. فاجعل كل ما تكتبه يدي دائما، اشتراكا فيما كتبته أنت على الأرض أثناء لقاءك مع المرأة الخاطئة. ومهما كان نوع الكتابة، سواء كان كتابة أصلية، أو حتى لو كانت كتابة قائمة من الأسماء، وخاصة لو كانت مراسلاتي اليومية، فامنحني ألا أكتب بدون أن أتحسس مشيئتك واندمج في قصدك.

ليت كل ما أكتبه، يا سيد، يخدم الحق. فكل ما هو حق فهو حقك. ليت كل كتاباتي مهما كان نوعها (خاصة لو كانت رسائل شخصية)، تساعد الشخص الآخر أن يكتشف داخله، ويرى ما هو حق. ولتكشف كتاباتي عن حنانك ورحمتك، وتكون دائما موجهة، ولو بطريقة غير مباشرة نحو غاية صالحة.

وفي كل مرة أكتب، ليتني أراك وأنت تكتب على الأرض!. وليتني أشعر في نفسي بما شعر به الفريسيون والكتبة وما شعرت به المرأة الخاطئة، - وإلى حد ما — ما شعرت به أنت نفسك يا سيد. فإن حالتي تشبه موقف الفريسيين المشتكين والمتعدين، وتشبه أيضا حالة المرأة الخاطئة، ولكنها في نفس الوقت تشبه حياتك التي تنقلها إلى الناس.

يا رب، ليتني في كل مرة أكتب، أنحني، أنحني كما انحنيت وأنت تكتب بإصبعك على الأرض. وليتني لا أشعر أبدا بشعور التعالي نحو الذين أكتب لهم!. ولا أقف منهم موقف المشتكي أو القاضي.

لقد قلت يا رب بفم نبيك أرميا: "سوف أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتب على قلوبهم"(ار٣١: ٣٣). آه يا سيد، أكتب في قلبي حتى يصير كل ما أكتبه على الورق امتدادا لما كتبته أنت في داخلي. ضع يدك على يدي، وأرشدهما بينما أنا أكتب. وأجعل مني أداة دقيقة، قوية ومطيعة، تكتب بها أنت على القلوب.

٧
الفعلة في الكرم

" يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي "
(مت٢١: ٢٨)

يا سيد، لقد قدست بحياتك وفي حياتي الخاصة، العمل والتعب، والجهد ونتيجة العمل. ويستطيع المرء أن يرى في العمل كمال الإنسان، أي لقاء الإنسان مع الطبيعة. وأما بالنسبة لتلميذك، فان العمل اليومي يأخذ معناه منك، ومن مثالك.

في العهد القديم وجد العمل مكانا مقدسا بفضل كلمة الخالق لآدم" "بعرق وجهك تأكل خبزاً" (تك٣: ١٩). ولكن عملنا اليومي – منذ الآن فصاعدا، يتبارك فيك لأنه مشاركة في الألم الجسمي الذي قبلته أنت على الأرض وفي العمل الأبدي الدائم، الذي كنت تواصله. لأنك قلت: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥: ١٧). وحديثك عن رسالتك كفادي إنما كان بلغة العمل "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته" (يو١٧: ٤).

ومرات عديدة في أمثالك شبهت ملكوت السموات بالكرم الذي أرسل إليه رب البيت فعلة: أولائك الذين استأجرهم عند طلوع النهار، والذين استأجرهم في الساعة الثالثة، وفي الساعة السادسة، وفي الساعة التاسعة، وحتى في الساعة الحادية عشر. وهناك مثل الأب الذي يرسل ابنيه إلى الكرم. فاحدهما يجب أمر أبيه قائلا: "ها أنا يا سيد" (مت٢١: ٢٩-٣٠)، ولكنه لا يمضي، والآخر يجيب ويقول "ما أريد" ولكنه بعد ذلك يمضي.

وهناك أيضا الكرامون الأردياء الذين ضربوا عبد رب البيت، وقتلوا آخر، ورجموا آخر، وأساءوا معاملة آخرين بطريقة مشابهة، وأخيرا قتلوا الوارث، الابن ذاته.

وبهذه الطريقة يتم التعبير رمزيا عن العلاقة بين العمل الذي يقوم به الإنسان وبين تاريخ الخلاص. ففي عملنا البشري، سواء كان هو العمل اليدوي أو العمل الروحي، فنحن نستقبل دعوة الله. ونجيب على دعوته أما بالقبول أو بالرفض. أما نطيع في الحال أو نتلكأ. أما نرحب برسل الآب أو نسيء معاملتهم. أما نقتل الابن نفسه أو نقبله بالحب. وكل هذه الأشياء نحن نفعلها في الكرم كما في الهيكل أو في البيت.

وحينما يتكلم الإنجيل عن "الكرم" فهناك خلفية قديمة من الأفكار، وأسلوب التعبير، تجعلنا نفكر قبل كل شيء آخر في العمل الرسولي. ولكن كل عملن مهما كان، إنما يتم في هذا "الكرم" ويجعله إما عقيما أو مثمرا. وكل دعوة أصيلة للعمل الإنساني هي إرسال على الكرم. وكل مهنة، ابتداء من كنائس الشارع إلى المعلم، إلى خدمة الرسول، إنما هي خدمة في الكرم الذي فيه " أعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله " (مر١٣: ٣٤).

يا سيد، يمكنك أن ترسلني كل صباح لأنواع كثيرة مختلفة من الأعمال، أو تجعلني أقوم بنفس العمل طيلة الوقت. يمكنك أن تختارني لمسئوليات مملوءة بعناصر مشوقة جديدة، أو أن تختارني لمهام متواضعة تسير على وتيرة واحدة. فلو كنت أملك قدرا كافيا من الإيمان والحب لكنت أسمع نفس النداء كل يوم "يا أبني أذهب اليوم أعمل في كرمي" (مت٢١: ٢٨). وأنا أعلم أن هذا الكرم، في حقيقته النهائية، مهما كانت الصورة التي يأخذها هذا الكرم هو أنت ذاتك، الذي أطعم فيك. "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يو١٥: ٥). وفي أثناء عملي، فأنت دائما، أنت الذي أجدك، فإن عملي يعبر عنك بطريقة سرية.

يا سيد، لقد قدست العمل اليدوي، في المقام الأول، وكرست له الجزء الأكبر من حياتك الأرضية، إن الكتب المقدسة إذ تنسب الأوصاف البشرية إلى الله، قد نسبت إليه كتابة لوحي الشريعة بيديه: "واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين" (خر٣٢: ١٦) وعنك أنت قال الجمع "أليس هذا ابن النجار!؟" (مت١٣: ٥٥). ومرة أخرى باختصار

أكثر "أليس هذا هو النجار!؟" (مر٦: ٣). أنك لم "تخضع" لهذا العمل في محل النجارة وتقبله كوضع قد سر الآب أن يضعك فيه ولكنك أنت الذي اخترت هذا العمل واردته وفضلته على كل عمل آخر. وفي أثناء السنين الطويلة في الناصرة، كنت تعمل بيديك عملا شاقا. ولم تعط إلا وقتا قصيرا جداً لعملك الكرازي، لذلك فلا يمكن أن ينظر تلاميذك إلى مشاكل العمال اليوم – في المرتبة الأولى – من خلال الوضع الاجتماعي، أو السياسي أو الاقتصادي. فإن الألف والياء بالنسبة لتلاميذك هما الشخص الإنساني، أي مثال الإله المتأنس، العامل الذي سكب حياة إلهية في كل أعمال الحياة البشرية.

آه يا سيد، علمني أن أحب أكثر، وأن أفضل العمل اليدوي، على مثالك. علمني أن أجعل من كل عمل جسماني اشتراكا في عملك في الناصرة. ربما لا أجد الفرصة دائما عندي لأحقق مثل هذا العمل. لذلك دعني – على الأقل – أن أعوض هذا النقص بتذكرك والاتحاد بك، وبروح الاحترام، وإخلاص النية والتيقظ، وبواسطة دوافع المحبة التي سأعمل بها هذه الأعمال! قد يكون العمل نفسه تافها ... مجرد غسل الأطباق أو مسحها فقط، أو ترتيب حجرة ... فأعطني أن أدرك أنك أنت الذي تعمل معي هناك، ومن خلالي، لأجلك، أي لأجل أخوتك ولأجلي أنا! أعطني أن أشعر وكأنني كنت في الناصرة.

آه يا سيد، أعطني روح الناصرة. دعني أنمو في هذا الجو المتواضع، الصامت والشاق الذي فيه كنت تنمو أنت : في السن وفي الحكمة، في القامة وفي النعمة "عند الله والناس" (لو٢: ٥٢). لأنه في الناصرة يمكن للإنسان أن ينمو وأن يصبح شابا ممتازا. عن فترة تدريبك كعامل في المهنة. فترة حداثتك قد سارا معا. انه شيء جميل ومناسب تماما وجود تمثال ليسوع الشاب يتصدر اليوم المدينة الصغيرة التي نشأت فيها.

آه يا سيد، من خلال عملك اليدوي، دعني "أنمو في الناصرة" بهذه الطريقة سأدخل على ذلك الجو الحميم جو عائلتك وبيتك. سأشعر بهم كأنهم حاضرون حقيقة في داخلي. إن مواطنيك

في الناصرة ربطوا ذكرى عملك اليدوي بذكرى أمك كلية القداسة بان دعوك "النجار"، ابن مريم (مر٦: ٣). وعندما أساهم بقدر الإمكان في حياة النجار الخفية، يمكنني بالإتضاع، أن أتلامس مع تلك الأم التي كانت تعمل بالقرب منها، حتى أحصل على لمحة من حنانها، وحتى يمكن لمريم أن تلهمني، وتهمس في أذني بالتوجيه الوحيد الذي أعطته للبشر (حينما كنت في عرس قانا الجليل) "مهما قالوا لكم فافعلوه" (يو٢: ٥).

يا سيد، لقد باركت عمل الروح كما باركت عمل اليدين. فقد شبهت كل كاتب متعلم في ملكوت السموات "برب البيت الذي يخرج من كنزه جدداً وعتقاء" (مت١٣: ٥٢).ألم تكن أنت نفسك الكاتب الكامل الذي، من خلال الكلمات المكتوبة في الكتاب، أعلنت الكلمة الحية المرسلة من الآب إلى البشر؟ يا معلم، أن كل عمل ذهني هو جزء من كنزك. فقد تعلمت كيف تقرأ وتحسب، وقد استخدمت الصور الشائعة والأساسية جدا في التفكير البشري وطبقتها على أمور الحياة اليومية. فمن كل الحقائق القديمة، أخرجت حقائق جديدة متصلة بالآب. لقد جعلت كل الحقائق تتلامس مع الحق المطلق. وهكذا يا سيد، ففي كل عمل ذهني اباشره، أرني أن كل العمليات العقلية الخاصة بذهني تشترك في كل العمليات العقلية الخاصة بطبيعتك البشرية، وأيضا بطبيعتك الإلهية. لأن كل تفكيري الفقير – (وذلك بسبب كونه تفكيرا عقليا)– له شركة في نور اللوغس المتوهج. وهكذا أرني أن كل حقيقة – سواء كانت دينية أو رياضية، تاريخية أو فنية – هي حقيقتك، وهي تأتي من الله، وتسير في طريقها إلى معرفة الله. ومهما كان نوع مطلبي، فأرسل على الروح الذي قلت عنه "وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣). ومرة ثانية قلت يا سيد:"والحق يحرركم" (يو٨: ٣٢) أجعلني شجاعا وحرا حتى لا أجرح أبدا أو أكتم أصغر جزء من الحق في سبيل إرضاء إنسان.

ولقد حدث، يا سيد إنك انتزعت، أحد تلاميذك الجدد من عمله المعتاد بطريقة حاسمة — أنه لاوي. لأنه لم يكن مناسبا أن يكون واحد من رسلك جابيا للضرائب، وخاصة حينما تتضمن هذه الوظيفة اغتصابا ظالما. ولكنك كثيرا ما استخدمت عمل تلاميذك اليومي لكي تكشف لهم، دعوتهم الخاصة من خلال ذلك العمل. إنك بعيشتك معهم حياة صيادي السمك في بحيرة جنيسارت، علمتهم شيئا فشيئا أن يصيروا "صيادي للناس" (مت٤: ١٩) ومن خلال الحديث مع فلاحي الجليل عن حقولهم وكرومهم، فتحت عيونهم لإدراك ملكوت الله.

علمنا إذن يا سيد، أن نمتحن بدقة وأن نكتشف المغزى الإلهي لمهنة كل واحد منا. أجعل عملنا يتجلى ويصير خدمة، ويتغير إلى "مجرى للنعمة".

إن البناء، والسمكري، والميكانيكي، ربما لا يعرفون كيف يميزون العلامات الروحية المختفية في أعمال التشييد والإصلاح، والتجميع، والتنظيم أو صهر المعادن. إنهم يعملون بسهولة أنه في قيامهم بعمل هذه الأشياء للآخرين. فإنهم يخدمونهم، لكنهم ربما لا يعلمون أنهم بخدمتهم الناس، إنما يشتركون في نشاط المعلم الذي قال "أنا بينكم كالذي يخدم" (لو٢٢: ٢٧). أنهم لا يعرفون أن ذلك الشخص الذي نطق بهذه العبارة كان هو نفسه نجارا (τὲκτων). وهذه اللفظة اليونانية التي يصفك بها الإنجيل تمتد إلى أكثر من المعنى الضيق لكلمة "نجار" لتشمل أيضا عمل الحداد والبناء. لقد كنت عاملا من أعلى درجة. وكنت أيضا الخادم الممتاز.

أما نحن فإننا نعرف هذه الأشياء لذلك فإن مهمتنا نحن، الذين نعرف، أن نضع أنفسنا "محل" الذين يعرفون أقل. أنه يليق بنا أن نفسر كل مهنة بحسب علاقتها بشخصك. واجبنا أن نفكر في العمل الخاص لكل إنسان وأن نصلي لأجله لكي يكون حضورك واضحا في ذلك العمل. يا سيد، أنك أردت أن تستخدم أدوات العمل اليومي لتلاميذك وتجعلها أدوات لملكوت الله. ففي أحد الأيام حينما خرت من البيت. جلست على شاطئ البحر، فأجتمع حولك جمع كبير،

فدخلت إحدى السفن وجلست، ومن هناك علمت "الجمع الواقف على الشاطئ" (مت١٣: ٢).

وبهذه الطريقة حولت سفينة صيد إلى منبر الحق. يا سيد، إذا كنت أتمم لأجلك العمل اليدوي أو العقلي الذي ائتمنتني عليه، عندئذ ستبدأ أنت أن تستخدم عملي، ومن خلاله تلمس النفوس، وتتكلم إليهم. ومن المحتمل أن البعض لا يلاحظون كلامك. ومع ذلك فسيصبح عملي طريقا، من خلاله تصل محبتك إلى هؤلاء الرجال والنساء الذين قد اخترتم وعينتم لتلك الساعة. يا سيد، أجعل من "سفينتي" مكانا منه تتكلم.

٨
في راحتك

"تَعَالَوْا مُنْفَرِدِينَ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً "
(مر٦: ٣١)

أنني أحب أن أقابلك، يا سيد، في راحتي كما في عملي اليومي. ولكن هل هي "راحتي"؟ فأن أقول "في راحتك" فإن ذلك يكون أكثر دقة، وأكثر توفيقا مع الغرض من هذه الأفكار ومع الخط العام لها.

يا سيد، أنني نادر ما أجد في إنجيلك، أي كلمة تشير إلى ما نسميه راحة، أو استجمام أو عطلة. إنك بنوع من العتاب واللوم تنتقد الراحة التي تكون في وقت غير مناسب — أو في وقت هو أقل الأوقات مناسبة، كما حدث حينما نام تلاميذك في بستان جثيماني. "ناموا الآن واستريحوا. قد أتت الساعة وابن الإنسان يسلم لأيدي الخطاة" (مت٢٦: ٤٥). آه يا سيد، كم مرة ظللت متكاسلا، في الوقت الذي كنت فيه تحتاجني بجانبك.

ومع هذا، فإنها، مرة واحدة فقط هي التي يذكر فيها الإنجيل إنك دعوت تلاميذك إلى الراحة. عندما رجعوا من الإرساليات وقدموا لك تقريرا عما كانوا قد فعلوه. وكان حولهم درج ومرج كثير حتى أنهم لم يجدوا وقتا للأكل، عندئذ قلت لهم "تعالوا أنتم إلى موضع خلاء واستريحوا قليلا" (مر٦: ٣١).

ماذا يمكن أن تكون راحة التلميذ، وماذا ينبغي أن تكون — راحتي؟ إن راحتنا، مثل كل أعمالهم الأخرى، يجب أن يكون أساسيا وتجليها وبركتها، في حياتك أنت. إن راحتنا ينبغي أن تكون اشتراكا في راحتك. فماذا إذن كانت طبيعة راحتك؟.

إنك في كل الأشياء، يا سيد تعمل ما يعمله الآب. "ورأى الله أن كل ما عمله، فإذا هو حسن جدا ... وفي اليوم السابع، أكمل الله العمل الذي عمله واستراح الرب السابع ... وبارك الرب اليوم السابع وقدسه : لأنه استراح فيه من كل أعماله" (تك١: ٣١-٢ : أو ٢).

هذا النص يبين بوضوح ما هي راحة الله، وما هي راحة ابن الله، وابن الإنسان، وأيضا كيف بارك لله راحة شعبه.:لأن الذي دخل راحته : استراح هو أيضا من أعماله، كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة" (عب٤ : ١٠-١١).

عن راحة الخالق مرتبطة بأن أعماله قد أكملت وصنعت وفق إرادته. فقد استراح الله لأن كل شيء قد أكمل حسنا.

إنك يا سيد، بالمثل أيضا يحق لك أن تستريح لأنك رأيت أن عملك قد أكمل وتم بنجاح. وفيك حصل الخلاص لنفوس الناس، في هذا العالم.

إن تلاميذك أيضا يحق لهم أن يستريحوا. لأنهم أكملوا إرساليتهم الأولى. فقد نادوا بالتوبة، وأخرجوا شياطين، وشفوا مرضى، ولذلك رجعوا فرحين. ولقد أظهرت تقديرك لعملهم بقولك لهم: "رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء" (لو١٠: ١٨).

فكما أن الآب قد استراح وأنت قد استرحت، هم أيضا يمكنهم أن يستريحوا عندما يرون أنهم قد أكملوا عملهم حسنا.

ولكن أنا، يا سيد؟ أنا، حياتي كلها خطية؟ إذا ألقيت نظرة على كل ما فعلته منذ ولت، فهل أستطيع أن أستمر موجودا في حضرتك؟ لقد دعوتني أن أسير معك، ولكن رغم أن حياتي تتزود بأنوار من غفرانك وحنانك، فهل هي شيء آخر سوى خيانة مستمرة؟ ويبدو لي أنني أقرأ دينونتي في العبارة التي أوحيت بها أولا للمرنم والتي أقتبسها أحد كتبة الوحي القديسين:

"وأنا أقول : هم دائما يخطئون في قلوبهم و لم يعرفوا طرقي ... وأنا أقسمت في غضبي : أنهم لن يدخلوا راحتي" (عب٣: ١٠ و ١١).

يبدو إذن أن راحتك ممنوعة عني، كما كانت جنة عدن مغلقة في وجه حواء وآدم بعد السقوط "إنني أنحني أمامك وأعترف باتضاع : "سيدي، أنا لا استحق أن أدخل راحتك".

ومع ذلك فإذا تابعت القراءة لنفس كاتب الوحي، فإنني أقرأ "فإذ بقى أن قوما يدخلونها والذين بشروا أولا لم يدخلوا لسبب عدم الإيمان، يعين أيضا .. قائلا "اليوم" (عب٤: ٦، ٧). وذلك اليوم يمكن أن يصبح، بالنسبة لي، "اليوم" فورا وفي الحال. فلو كان عدم إيماني بالأمس، (الظاهر في أعمالي) قد منعني من الدخول على راحتك، فاليوم إذ أرفض مل كنت عليه البارحة وآتي إليك مرة أخرى، وأقدم نفسي ثانية لأحمل نيرك، فإني سأجد تلك الراحة التي تتكلم عنها قائلا: "تعالوا إليّ ... أحملوا نيري عليكم ... فتجدون راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٨و٢٩).

يا سيد، إذا كان عملي رديئا ولا يساوي شيئا فيمكنني أن اشترك على الأقل في راحة الخالق، في راحة المخلص، بأن أرى كم كان عمله صالحا وصالحا جدا "وكانوا يرنمون ترنيمة موسي...وترنيمة الحمل، قائلين عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء" (رؤ١٥: ٣).

واحسرتاه: هل بهذه الطريقة أنا أقضي ساعات راحتي، أيام راحتي والأيام التي كرستها لك خاصة؟

ماذا أفعل بهذه الأيام. أه، ما أتعس وقت فراغي..!

يا سيد، إن مشكلة تقديس وقت الفراغ تجد حلها بالقرب منك بواسطتك أنت وحدك. إن راحتي ستغني فرحا إذا كنت أنت راحتي. أني سأقابلك في راحتي إذ دخلت إلى راحتك. أنت

كمال اليوم السابع وملء فرحة. زد عرفاني بالجميل لكي أجعل من كل راحة ومن كل استجمام، ومن كل عطلة مدخلا إلى راحة الخالق الذي كونني وحفظني، ومدخلا إلى راحة الخالق الذي كونني وحفظني، ومدخلا إلى راحة الحمل الذي يخلصني ويغفر لي. سأجد فيها أعظم راحة، لأن عمل صلاحهما هو أعظم عمل. يا سيد أجعل راحتي مشاركة في تلك الراحة التي أردت أن تأخذها مع تلاميذك على شاطئ البحيرة "لأننا نحن المؤمنين، ندخل الراحة، كما قال" (عب٤: ٣).

٩
شرح المثل

"وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ" (مر٧: ١٧)

يا سيد إنك تتكلم إلينا بطريقتين. فإنك تتكلم إلينا أولا في وسط جماعة المؤمنين بك. أي أنك تكلمنا في كنيستك ومن خلال كنيستك التي ائتمنتها على الكرازة بإنجيلك. وأني بلا شك لا أدعي لنفسي أنني أملك أي تعليم سري خاص. فإني أنصت إليك، مع أقل المستمعين إليك مقاما. إن البشارة المقدمة للجميع هي البشارة الوحيدة التي تجذبني. أنني لا أعرف أنجيلا آخر إلا الذي أعلنه بطرس ويعقوب ويوحنا وكل جماعة الاثنى عشر وكل الحشد الذي تبعك. دعني أجد مكانا في ذلك الحشد وأجلس عند قدميك مع، ومثل "الإنسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه جالسا عن قدميك" (لو٨: ٣٥).

ولكنك، يا سيد، لازلت تتكلم بطريقة أخرى. ائذن لي عندما يتفرق الجمع، أن أذهب إلى "المترل" (مر٧: ١٧) في سلام وعلى إنفراد، وأن أسألك عما قلته أنت، لأنك قد تكلمت أيضا بهذه الطريقة. فقد سألك تلاميذك عن أمثالك – وإجابتك لهم لم تضف شيئا إلى مضمون المثل، ولكنها ساعدتهم أن يفهموا وأن يتعمقوا في معناه، وفوق كل شيء أن يطبقوه على ظروفهم الخاصة الحاضرة.

يا سيد، لقد بدأت متأخرا جدا أن أقدّر الكتر الذي تحتويه أمثالك. وقد ازددت تعودا عليها، ولقد كانت أمثلتك بسيطة جدا، وشائعة لدرجة أنني لم أستطع أن أعرف كيف أجد فيها عرضا كاملا لأمور ملكوتك، والحياة حسب روحك. وحينما قرأتها، لم أعرف كيف أجعلها

تتطابق مع خبرتك الشخصية لهذه الأحداث (لأنك كنت قد رأيت كل هذه الأحداث منذ أن كنت طفلا).

فالزارع الذي لقي البذار، والسيدة التي كنست غرفتها لكي تجد الدرهم المفقود، وربة البيت التي خلطت الخميرة مع العجين، والكرامون الذين استأجروا لمدة يوم، وكثير من الصور المأخوذة من الحياة اليومية. فاليوم أنني أحب أن أعيد قراءة هذه الأمثال، لأجد الحصول على قليل من "النظرة "الإنسانية التي بها رأيت أنت ذاتك هذه الأشياء. وأكثر من ذلك، فإنني فيما مضي، لم أكن أشعر بوضوح، بهذه الحقائق العامة المختفية في الأمثال، فإن كل مثل كان يشكل "آية". أي علامة لموقف معين، لوقف واقعي حقيقي، يجمع بينك أنت شخصيا وبين كل شخص يستمع لك.

يا سيد، لم تعد تتكلم إلينا اليوم بأمثال أو على الأصح فإن الأمثال التي تضعها أممنا بالكلام أو الكتابة لم تعد أمثالا. فهي لم تعد نصوصا بشكل مطلق، مثل أمثال إنجيلك. غنها أمثال "وجودية". لم يعد "التعبير" عنها بالكلام، بل بالحقائق والأحداث. لقد حلت الآية محل المثل القديم، ولا تزال أنت تكلمنا عن طريق الآيات أي العلامات التي تتغير دائما. فأنا أسمي كل شيء يحدث لي بطريقة منظورة خلال اليوم أنه "آيات" فكل يوم مشحون ومنسوج بالأحداث البسيطة منها والخطيرة، والمقابلات، والمتناقضات، والصعوبات، والنجاحات والمحادثات، وكل هذه إنما هي آيات (علامات) كثيرة. لأنه في كل موقف من المواقف أحس بحضورك ومشيئتك فيما يخص توجيه حياتي... ولو فتحت عيني تماما، لمنت ألاحظ من وراء الأحداث المادية، "الآية" التي تخاطبني بها. لذلك فالآيات هي أمثالك في أيامنا هذه. والمهم أن أفهم معنى "الآية" كما كان الأمر في الجليل واليهودية أيضا، هدفها معنى الأمثال. أنني الآن أرى الجانب المربك والمقلوب للنسيج المرسوم، ويتبقى على أن أرى الجانب السليم والخطة الحقيقة. وأعني به تراكم

النعم وأفعال الخلاص التي تمتلئ بها أيامي. ورؤيتي هذه سوف تعني أيضا إيقاظي لإدراك أوضح للخدمة التي يقوم الملائكة والقديسون للبشر، متممين مقاصدك، وعملك بالحب.

إن كل آية هي ملاك – مرسل إليّ، يعيد عليّ كلمات مرثا لمريم: "السيد قد حضر وهو يدعوك" (يو١١: ٢٨). وأيضا "فمريم لما أتت التي إلى حيث كان المسيح ورأته، خرت عند قدميه" (يو١١: ٣٢) فإن كل موقف بشري في لحظة معينة هو الجانب السليم الذي يوجد فيه يسوع. وحالما أفهم الموقف الذي تعبر عنه كل واحدة من علاماتك، فإنني أحب أن أدرك هذا الموقف بطريقة واعية، وأجري نحوك فيه وأطرح نفسي عند قدميك.

إن الفريسسين والصدوقيين أتوا إليك يجربوك. وطلبوا منك آية، أي معجزة، حيث أن الكلمة في اليونانية تحمل كلا المعنيين – (أن عمق هذا المعنى المزدوج هو: أن كل معجزة من معجزاتك حتى قبل أن تكون حدثا عجيبا، فهي علامة طبيعية). وإنك أجبتهم أنه في كل مساء يمكنهم أن يعرفوا من الاحمرار الساطع أو الجو المعتم، هل سيكون الصباح مشمسا أم عاصفا. وختمت قائلا: "تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة فلا تعرفون أن تميزوها" (مت١٦: ٣).

يا معلم، علمني أن أميز علامات الأزمنة المختصة بوجودي، علمني أن أفسر أمثلة حياتي.أرنا تدخلاتك الإلهية وصلاحك. ولماذا على سبيل المثال لم تصدمني تلك السيارة التي احتكت بي اليوم؟ ما هي المقاصد التي هي من أجلها منحتني عمرا ثانيا؟ وفي مساء كل يوم أود أن أقترب منك "في البيت"، في حوار شخصي، واسمع من فمك ما هو المعنى العميق لهذه الأحداث التي حدثت لي منذ الصباح. إنني عاجز بنفسي عن تفسير الأمثلة والعلامات التي في حياتي. دع عيني تراك، من خلال الحجاب الخفيف الذي يغلفك. يا سيد أشرح لي المثل.

١٠
اليد الممدودة

"فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ"
(مت١٤: ٣١)

ربي يسوع، إن الأوضاع الجسمية لها أهمية في حياة التأمل. فكل عمل من أعمالك الجسيمة الموصوفة في الأناجيل لها معنى بحسب الروح. فهل يمكن لأعمالك العادية أن تلهم أعمالي؟

في الحقيقة، إذا استثنيت آلام صلبك، التي تظل دائما فريدة، فإن الأعمال التي قمت بها لا تختلف عن أعمال معظم الناس. فأعمالك كانت هي التي نمارسها كل يوم، وكل ساعة ومواقفك هي نفس مواقفنا، وذلك فيما يتعلق بالحركات الخارجية المتشابهة. وذلك حتى، حينما كنت تقوم بصنع معجزة. مع ذلك فإنه يوجد اختلاف. وهذا الاختلاف، هو نزعات النفس التي منها تصدر الأعمال.

وحينما أسأل: "هل أعمالك يمكن أن تلهم أعمالي" فالأمر ليس مسألة تساؤل مستمر عن "ما هو العمل الذي يعمله يسوع" فالمسألة ليست أن أتصور أعمالا غير عادية أنسبها إليك في ظروفي الخاصة، ولكن بالأولى أن أسال نفسي: "بأي روح أكملت أنت الأعمال التي أقوم أنا الآن بإنجازها، أو تلك التي سوف أقوم بها".

لا يوجد موقف واحد من مواقفي لا أستطيع أن أجعله جديدا، وملهما- ولكن، بالطبع، فإن الله وحدة هو الذي يلهمه حقيقة- هذا إذا كنت أحاول أن أجعل مواقفي متطابقة مع مواقفك، أو بالأحرى إن كنت أدعك تعطي لمواقفي اشتراكا في مواقفك.

ولنأخذ مثلا: صمتك. فكما أن الصمت الناتج عن الكسل، أو الجبن، أو الغضب، أو الحنق، أو الحقد، إنما هو صمت عقيم ورديء، هكذا أيضا فإن الصمت المقدس إنما هو الدخول في صمتك أنت، وصمتك مع الآب، وصمتك أمام بيلاطس، "أما يسوع فلم يعطه جوابا" (يو١٩: ٩)، إن صمتك هو صمت التذكر والنضج الذي يعد الكلمة ويجعلها مثمرة.

وهناك مثل آخر بسيط: إن شعبك اعتادوا أن يصلوا واقفين. ولقد تحدث الإنجيل مرة واحدة فقط عن ركوعك في الصلاة. وهي في وقت معاناتك في البستان. أن ركوعي كثيرا ما يظهر روتينيا وبلا معنى! (وكم يختلف عن تلك السجدات الحارة التي قام بها أمامك بطرس ومريم المجدلية ومرضى كثيرون).

يا سيد، ألهم كل انحناءات ركبي. وأصنع من كل واحدة منها ليس فقط سجودا أمامك ولكن اتحادك بركوعك أمام الآب في جثيماني.

وهناك وضع واحد من أوضاعي، وأكرره كثيرا، وأريد أن أدمجه مع الوضع الذي يقابله في حياته الأرضية. هذا هو الوضع الذي سأطلق عليه —**وضع اليد الممدودة**.

والجزء من الإنجيل الذي كتبته في مقدمة هذا التأمل يظهرك مادا يدك وممسكا ببطرس، في اللحظة التي كاد فيها يغرق في البحر. وكثيرا ما تمتد يدك لكي تصنع إيماءة خلاص، ثم تعتبر عن معناها بكلمات. لقد "أمسكت بيدك" (مت٩: ٢٥) ابنة رئيس المجمع، والتي كانت قد ماتت في التو وقامت. "وأمسكت بيد الأعمى" ، ووضعت يدك على عينيه فشفي. "ووضعت أصابعك" في أذني الرجل المريض "ولمست لسانه" (مر٧: ٣٣)، وهو أيضا شفى. وفي وقت صعودك باركت تلاميذك "رافعا يدك" (لو٢٤: ٥٠) عن عادتك كانت أن تضع يدك على المريض وعلى الأطفال الصغار. وبهذه الطريقة فإن تلامس جسدك مع أجساد الناس أعطى لهذه الأجساد البشرية خلاصا وقوة.

إن الإيماءة بمد يدي لشخص آخر، أو أن آخذ في يدي اليد الممدودة، أو أن أسلم على اليد التي تقابل يدي، هذا شيء يحدث لي كثيرا جداً... إنها واحدة من أقدم الإيماءات التي سلمها لنا التقليد البشري، وهي ذات قيمة غالية كعلامة سلام وثقة. أنها مبادلة صداقة بدرجة صغيرة.

ولكن السلام باليد كثيرا ما تنحدر قيمته، فقد أصبح نوعا من النظام الشائع، أو الصورة التقليدية للأدب الذي ينقصه كل تعهد حقيقي للشخص. أنه علامة ترحيب غامضة ... وفي بعض الحالات، فإن هذه الإيماءة تحمل على الطرف الآخر إيحاءا أو إغراءا شريراً. كم نحن بعيدون، يا مخلصي، عن يدك المعينة السخية، تلك اليد تشفي وتشدد! فإننا نراك في البشائر تمد يدك للمعذبين أو الذين أخطأوا.

يا سيد، من الآن فصاعدا أنني أكرس لك ما يخصني من هذه الإيماءة التي لليد الممدودة أو اليد المقبولة وفي كل مرة أجعل من العلامة التي كانت عنوانا للأدب، علامة للمحبة. كواحدة من أعمالك الخلاصية. أجعل منها في كل مرة شركة في الإيماءات المماثلة التي لحياتك بيننا.

وفي حادث إنقاذ بطرس من الماء. أراك "أولا تمد يدك" وبعد ذلك تمسك ببطرس. وفي كل مرة أقدم يدي لأي شخص ليتك تكون أنت الذي تمد يدك له أولا. وعندما أصافح يد إنسان دع يديك هي التي تمسك به لكي تخلصه من وسط تجاربه الخفية، لكي تقويه، وتحضره إليك! وبالعكس، فكل مرة أتقبل يداً ممدودة أمنحني أن تكون يديك أنت هي التي أصافحها بالإيمان والحب. وبواسطة اليد التي تمسك بيدي، أمسكني، واجعلني لك. وهل يمكن أن أسمع حينئذ صوتك قائلا لي: أجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك" (نش٨: ٦). وأين هي اليد التي تستطيع أن تخدمك؟ يمكنني أن أتجاسر وأقول، أن اليد التي تستطيع ذلك هي تلك اليد الإنسانية التي تكون نقية جدا، والتي تصير مرنة وحساسة لحركات روحك، أما اليد التي أصبحت جاهلة، وخاملة وميتة فإنها لا تستطيع أن توصل نعمتك أو تستقبلها.

وفي أحد الأيام، قابلت في المجمع رجلا يده يابسة وطلبت منه أن يمد يده "ومدها ... فعادت صحيحة" (مر٣: ٥). سيدي، أن أهوائي الأنانية قد يبست يدي، أنا أقف أمامك وأقدمها لك، فاجعلها صحيحة. اجعلها جديدة وحساسية لعملك وخاضعة لك وإذا صافحتني يد أخرى مهما كان الشخص صاحب هذه اليد، فليتك تقول لي تلك اللحظة "أنني أضع يدي على هذا الآخر، وه أنت ترى أنني جعلت يدك هي يدي".

١١
في الشوارع والحقول

" كَانَ أَعْمَى جَالِساً علَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازاً سَأَلَ: «مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟. فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ" (لو١٨: **٣٥: ٣٧)**

يوجد بعض من الرجال والنساء أعطيتهم امتيازا أن يحيوا حياة التوحد في صومعة، إنها حياة مختفية فيك يا سيد. والذين لا يعرفون قيمة هذه الحياة ولا يقدروها هم فقط الذين يعتبرون مثل هذه الحياة بلا فائدة أو أنها غير إنسانية.

ولكن معظم الرجال والنساء مدعون "للخروج"، ليكونوا على اتصال "بالخارج". إن هذا اليوم الذي أريد أن أقضيه معكن يا يسوع، يتطلب مرات من الدخول، ومرات من الخروج على ما يسمونه "العالم". ومثل هذا الاتصال مع العالم الخارجي يمكن أن يكون بل وينبغي أن يكون في الحقيقة اتصالا بك، أي لقاء إلهيا، حقيقيا. مثل اللقاء الذي أستطيع أن أجده في الكنيسة، أو في صومعة الراهب، أو في المخدع.

كان جواب السؤال الذي سأله الرجل الأعمى الذي كان يستعطي في أطراف أريحا أن **"يسوع الناصري مجتازا"**(لو١٨: ٣٧). وفي كل مرة أخرج إلى العالم ينبغي أن يكون ذلك اختبارا لعبور يسوع .. وذلك بمعنيين. فحينما يمر بي آخرون، يجب أن أشعر يا سيد، إنك أنت الذي تمر. وحينما أمر أنا، ينبغي أن يشعر الآخرون أنك أنت هو الذي يمر.

"لقد علمت في شوارعنا" (لو١٣: ٢٦). يا سيد، لقد وضعت هذه الكلمات في أفواه الكثيرين "من الذين يطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون" (لو ١٣: ٢٤). لقد استمعوا إلى كرازتك في مدن فلسطين وقراها. في مدن فلسطين وقراها. ولكن، هل في شوارعنا؟ نعم، يا معلم، إنك لازلت تبشر اليوم وسط الجموع. "وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى" (مر١٦: ١٢). فكل ما نحتاجه، هو أن نكتشف أن يسوع الناصري هو الذي يزال، بل دائما، يمر بنا في ذلك الشكل، أو في أشكال أخرى كثيرة.

فلماذا نخرج من المترل؟ إننا نخرج لكي نقابل يسوع. لكي نعطي يسوع أو نحصل عليه بواسطة الرجال والنساء الذين يعترضون طريقنا والذين سيكونون، سواء أدركوا أو لم يدركوا، أم الحاصلين على المسيح أو معطين إياه لنا.

أنني أخرج إلى الشارع. إنني أمشي، وألاحظ يا سيد، أنك تسير بجانبي أو بالأحرى إنك تسير أمامي وأنا أتبعك كما تبعك تلاميذك. إنك تظل غير مرئي لعيني جسدي، ولكن عيني إيماني تدرك حضورك. ويبدو لي أنني أسير في النور. وأختبر الفرح والقوة عندما أشعر إنك هناك، قريب مني جداً. إنني اعرف أين أذهب، وأشعر أنك الذي تقودني. إنك تتحدث إليّ وأنا أجاوبك. وكثيرا ما نسير معا في سكون، ويكون الكلام في هذه اللحظة بلا فائدة لأن ما يفيض من قلبك يملأ قلبي.

إننا لسنا وحدنا، فإنه يوجد رجال ونساء في هذا الشارع، ويوجد كل نشاط الحياة الحديثة. إنني أمر بهؤلاء الناس الذين أنت فيهم. وإنني لا أعرفهم ولكني أتعرف عليهم لأني أكتشفك أنت فيهم.

لقد أرتكض الجنين الذي حملته اليصابات في بطنها بابتهاج عند دخول مريم التي كانت هي نفسها تحمل يسوع مختفيا في بطنها. لأن الذي "من الله" في كل كائن، يقفز فرحا حينما يشعر "بالذي من الله" في كائن آخر. وحتى الإنسان الذي سقط إلى الحضيض فإنه لا يخلو من

الشرارة الإلهية. وهؤلاء الرجال والنساء الذين أقابلهم قد لا يعرفون أنك أنت معهم وفيهم (رغم أن الفارق بين الخالق ومخلوقاته لا يمكن أن يتلاشى). ولكنني أعبدك فيهم، يا مخلصي، أنت الذي تمر في هذه اللحظة بالذات في شوارعنا. سواء كان معي وفي، أو معهم وفيهم، فهو يسوع الناصري الذي يمر بنا جميعا.

وعندما أصعد إلى القطار أو الأتوبيس. فكل الركاب يبدون كغرباء أو غير مبالين. ولكن يا سيد، أهدم حاجز الانفصال هذا. ودعني أعطيهم حضورك الذي معي. دعني أيضا أقبل حضورك الذي هم أيضا يحملونه. فكيف يمكن أن نتلاقى إذن؟ أحيانا يكون الحديث هو وسيلة التلاقي. ولكن ليس المحتوى الظاهري للكلمات هو الذي يهم هنا، بل محتواها الخفي، والقصد، والنعمة، وتعبيرات الوجه، والابتسامة، وحرارة النفس الخفية. كل هذه هي التي تؤثر في لآخرين. فإذا تحدثت إلى هؤلاء الناس، فكل مل أقول يا سيد هو موجه إليك. وإذا تكلموا معي، فلا يهم ما يقولون لي، فإنني أسمعك أنت. فأنت الموجود وراء الكلمات المنطوقة وبالرغم من هذه الكلمات. وفي معظم الأوقات لا يجري حديث بيني وبين هؤلاء الغرباء. ولكن نظرة واحدة يمكن حينئذ أن توجد الصلة، لو كانت هذه النظرة مخلصة ونقية وعميقة. وعندئذ فإن هذه النظرة سواء استقبلها أو وجهتها، فإنها تستحوذ على كياني أو على كيان الآخر الذي أريد أن أقترب منه. وإذا لم تتوفر هذه النظرة، فإن حركة الروح فينا تؤدي إلى نفس التأثير. إننا نتصل ببعضنا البعض من خلالك. إننا نتشارك في يسوع.

يوجد بعض أشخاص أراك عابرا من خلالهم كما لو كانوا أجساما شفافة. فإنني أتذكر تلك السيدة التي لم أكن أعرفها والتي كان وجهها يعبر عن سلام، وعن تجل مشرق، حتى إنني لم استطع أن أمنع نفسي من الاتجاه نحوها قائلا لها: "من أين أتاك هذا السلام الذي يبدو إنك تملكينه؟" فأجابتني: "أنه فرح الإنجيل". وشعرت عندئذ أنك تمر بي ... وأما أولئك الآخرين لا ينبعث منهم أي شعاع، وتلك الوجوه المتألمة، والوجوه القاسية التي تطفح مرارة، والوجوه

المضطربة، والوجوه المختنقة بالشهوانية ... فمن أجل هذه الوجوه بالذات أطلب، في صمت، بركتك، ومعونتك، وحضورك. وأطلب بركتك على الأطفال الصغار، الذين تعكس عيونهم صفاءك ومن الناحية الأخرى، فإنني أشعر بك في كل الناس كضيف يحبونه أو كسجين يسيئون معاملته، وعندئذ أخاطب نفسي، وأرسم لنفسي، ذلك الوجه الآخر لحضورك الذي هو ظاهر فيهم. فما أعجب المبادلة التي من خلالها علمت في شوارعنا بدون أن نسمعك من الخارج.

وأيضا كانت أحزان الإنسان توضع عند قدميك في شوارع وطنك "وابتدأوا يحملون المرضى على أسرة، إلى حيث سمعوا أنه هناك. وحينما دخل إلى قرى أو مدن أو ضياع، وضعوا المرضى في الأسواق وطلبوا إليه أن يلمسوا ولو هدب ثوبه" (مر٦: ٥٥-٥٦).

يا سيد، إنك تريدني أن أحضر لك الموتى، والمرضي، وغير المؤمنين، والخطاة، والحزانى، والمتروكين، كلهم في حاجة ماسة لمعونتك، وإن كنت أنا لا أستطيع أ أفعل هذا حرفيا. ولكني أستطيع أن أفعله في أعماقي، في أفكاري، وفي صلواتي.

يا سيد، أنني أذكر حزينا، كيف أن صلواتي الشفاعية لأجل الآخرين هي صلوات لأجل الآخرين هي صلوات سطحية، بل وأقول أيضا أنها غير حقيقة. إذ أنني أذكر بعض الأسماء بسرعة في الصلاة، وهذا ما أسميه "تشفعا"، أو "صلاة لأجل". أما الصلاة لأجل الآخر فتعني "حمله" إليك، أي أن أحمله على منكبي أو بين ذراعي، بيقظة دائمة وحنان دافق. "لا تحاول أن تحملني، إن كنت لا تستطيع أن تحملني إلى النهاية" هذا ما قاله لي مرة رجل خاطئ (وأنا لم أكن أعرف كيف أحمله إلى النهاية). فالصلاة من أجل الآخر هي وضعه في حضرتك. ولكي أفعل هذا، يجب أولا أن أقترب أنا نفسي منكن إلى أن أشعر أن "يسوع مجتاز" فصلاة لأجل الأخر معناها تكوين علاقة شخصية — أي لمس هدب الثوب بينك وبين ذلك الشخص فحتى لو كان ذلك يحدث في داخلي فقط، فالمهم في الموضوع هو أن أكتشف العلاقة الفريدة والألفة

الصميمة، أي نقطة الاتصال التي تجعلني أقول لكل واحد: "ليس أحد أحب إليك منك". أو على الأقل أنت عزيز عندي بطريقة تختلف عن كل واحد آخر. "فمريم ومرثا قالتا لك: "هوذا الذي تحبه مريض. وبواسطة إرشاد النعمة، يجب أن أدرك كيف أستطيع أن اعتبر كل واحد هو الذي تحبه"، بمحبة خاصة لا يجدها في أي مكان آخر. وهذه هي المحبة الفريدة في كل حالة والتي تستجيب في كل مرة لاحتياج فريد، والتي أجعلها نقطة الانطلاق وأساس كل تشفع، وإن كان هذا لا يحدث بدون جهد.

يا سيدن ليت خروجي إلى الشارع في كل مرة، سواء كان هذا الخروج بالجسم أم بالفكر، لا يتم بدون أن أحضر إليك "حقيقة"، وأضع عند قدميك كل أنواع المعاناة والضعفات الجسدية والنفسية التي تقع عليها حواسي وأفكاري.

أنني أخرج ليس فقط إلى "الشوارع" (لو١٣: ٢٦). وفي الأماكن التي أكون فيهل بين الناس، بل أخرج أيضا إلى الحقول والحدائق، فلا يمر يوم دون أن يكون لي اتصال مباشر "بالطبيعة". أنني أجدك أيضا في الحقول. "وأجتاز في السبت بين الزروع" (مر٢: ٢٣). وكل مرة أمشي بين الحقول أراك تمهد طريقا مع تلاميذك وسط سنابل القمح. وهناك أتبعك... لقد قلت للأحد عشر "أذهبوا إلى العالم كله وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦: ١٥). إن الكلمة اليونانية (κτὶσις) (الخليقة) تتجاوز معنى "الخليقة العاقلة"، فهي تعبر عن الفكرة العامة "للخليقة"، أي لكل شيء مخلوق وإنني لا أشك أنك حينما مررت في حقول القمح، قد بشرت الطبيعة. وكيف ذلك. لقد قمت بذلك بإعطائك معنى لتعطش وحنين النباتات والحيوانات التي في الأرض وفي العوالم الأخرى. لقد عرف رسولك بولس بالذات كيف يشرح أنات وتمخضات هذه الخليقة التي أخضعتها الخطية لرئيس هذا العالم، والتي تنتظر العتق والتحرر. وأنت بنفسك تحدثت كثيرا عن انعكاس جمال وصلاح الآب، في أعمال يديه. وفي تلك الأوقات التي لا يتيسر لي أن أدرك حضوركن فإنني أرى في الطبيعة بنوع خاص، حالة

استعباد وانتظار، كما رأى بولس. ولكن حينما أجتاز معك بين "الحقول"، فإنني أعلن معك الأخبار السارة للخليقة كلها. أنني أعلن للخليقة بالنغم أكثر من الكلام، أنها في هذه اللحظة بالذات تقابل يسوع الذي تتجه نحوه وتميل إليه بكل قوتها، وأنه هو الذي يتوج وجودها كله. فإن الخليقة ليست إلا مثلا عظيما يوضح ملكوت الله.

يا سيد، إنني لا أعرف كيف أكلم الناس والطبيعة كما ينبغي. ففي الشوارع كما في الحقول أكون ثقيل السمع ومتلعثما، أن لم أكن أصما وأبكما. فأنا لا أعرف كيف أسمع أو ماذا أقول. ولكن ضع يدك عليّ كما وضعتهما على الرجل المريض الذي من العشر مدن. ضع أصابعك في أذني وألمس لساني بلعابك. قل لي " افثا أي أنفتح" (مر٧: ٣٤). أمنح ليس فقط لأذني أن تسمع، وليس فقط للساني أن تنحل عقدته، بل أيضا أعط لقلبي وكل كياني أن ينفتح لروحك القدوس وللناس، حتى يمكن أن يجتاز يسوع المسيح بيننا، من واحد إلى آخر وينتقل إلى كل واحد عن طريق الآخر.

إن لعابك قد لمس لسان إنسان. وهذا اللعاب الذي كان على لسانك فك عقدة لسان ذلك الإنسان. أنه اتصال إلهي ومغير. أنه اتصال يفوق المعتاد. ومع ذلك فهو وسيلة متواضعة جدا انه قليل من اللعاب! فعندما يمر يسوع الناصري، وحينما يفتح أذني ويفك لساني، فإنني لا أراه كالمسيا المجد، أو كالمخلص المنتصر المقام من الأموات. فهو يستعمل أفقر الوسائل فقط. والجمع يدعون ذلك المجتاز، يسوع "الناصري"، وهذا اللقب الذي يعبر عن موطنه يذكرنا بسني حياته الخفية التي كان فيها يعمل بيديه. ولكن بعد ذلك قد أظهرت ذاتك كملك المجد. أما الآن فإنني لا أستطيع أن أتعرف عليك في الشوارع والحقول، ولا أستطيع أن أتبعك، إن لم أبحث عنك في مكانك المعتاد إلا وهو المتكأ الأخير.

لقد سبق ليسوع الناصري أن اجتاز في حياتي مرارا كثيرة. آه ليته لا يكف عن الاجتياز! يا يسوع اعبر بي ثانية! وفي الأمكنة التي لا يكون حضورك فيها ملحوظا امنحني أن أشعر بحضورك، وأن أعلن للآخرين أنك أنت هناك. وحينما تفارق نفسي هذه الأرض ليت الرؤيا المضيئة تعود إليّ ثانية، فنسمع الأخبار السارة للمرة الأخيرة وهي كلمات الإنجيل "وأخبروه أن يسوع الناصري مجتاز" (لو١٨: ٣٧). عندئذ فإنني أصرخ مع أعمى أريحا: "يا يسوع .. ارحمني" (لو١٨: ٣٨). وعندئذ رآك الأعمى.

١٢
الخبز الذي نكسره

" أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا قُدَّامَكَ " (لو**١٣: ٢٦**)

لا يمر يوم عادة دون أن أحصل على بعض الطعام. في هذا اليوم الذي أحاول أن أقضيه معك، يا معلم، يجب أن أؤسس علاقة بينك، وبين كل أطعمة الروح والجسد.

ومن بين كل أعمالك، والتي تظل هي أعمالنا في نفس الوقت، فإن عملية تناول الطعام ربما تكون أكثر هذه الأعمال تعقيدا وأكثرها سرية. فالخبز الذي نكسره والكأس التي نشربها هما حقيقتان وآيتان بدرجة غير عادية. إنك يا سيد، قد اخترت هذه العناصر المتواضعة والضرورية للحياة اليومية، لكي تجعل منها وسائل تحمل حضورك، وذلك بواسطة النعمة التي تمنحها صفة فريدة من بين كل عناصر المادة.

لقد دعي تلاميذك ليأكلوا ويشربوا معك، ومن خلالك بل أكثر من ذلك فلقد دعوتهم ليأكلوك ويشربوك، والطعام، بالنسبة لهم يشمل وجوها متميزة، ولكنها مترابطة. فهناك الوجبات اليومية، التي تستحق أن نشكرك لصلاحك وبركتك. وهناك العطية السخية التي تمنح لأولئك الذين ليس لهم خبز. وهناك على مستوى آخر الاشتراك في عشائك الأخير أي في تقدمة جسدك ودمك. وهناك أيضا حضورك غير المنظور الدائم، وقوتك الفعالة. أي أنت نفسك يا خبز الحياة، ويا من تصير طعاما للنفوس بدون التقيد بأي صورة ثابتة.

فلا ينبغي أن نخلط بين أوجه طعامنا هذه، ومع ذلك ينبغي أن ندرك الارتباط الموجود بينها، ونرى ما هو منك في كل واحد منها. وإذا لم ندرك ما يرتبط بين أبسطها وأعظمها، وإن كنا نقيم حواجز وفواصل بين "الافخارستيات" المتنوعة والحقيقية والتي عن طريقها نتصل

بحضورك، فإننا بذلك نظهر عدم فهمنا "**لكسر الخبز**"، كما فهمته أنت وأردته، عن التلاميذ بعد معجزة الخمس خبزات والسمكتين: "لأنهم لم يفهموا بالأرغفة" (مر٦: ٥٢).

فعندما يجلس إنسان على المائدة فإنه يختار ما هو شهي وثمين في الأطعمة. وهو لا عطي أي اعتبار لأولئك الجياع في الخارج. وقد يشترك رجل غني ذو مركز مرموق في اجتماع المؤمنين، في سر جسد المسيح ودمه. ويتناول من الأسرار المقدسة. وإلى جواره رجل فقير ينال من نفس طعام الحياة، (وعشاء الري هو أحد الفرص النادرة التي يمكن أن يحدث فيها تقابل المتناقضات بهذا الشكل) وربما هذا الفقير لا يعرف كيف سيحصل على طعامه اليوم أو غدا، وقد يترك الكنيسة بإحساس العزلة الكاملة. إن الشخص الأول من هؤلاء المتناولين وكثيرين من أولائك الذين تقدموا معه إلى جسد الرب ودمه لا يسألون أنفسهم من يكون هذا الرجل الفقير، وما هي احتياجاته. وقد يتناول إنسان آخر من الشركة، ولكن ليسلديه أي فكرة، أن هذه الشركة يجب أن تمتد آثارها إلى أعمال حياته اليومية، وأن يعرف أنه، لا يستطيع الآن أن يتصرف وكأنه لم يتناول من الشركة. وفي الحقيقة فإن أحدا من هؤلاء لم يفهم "معجزة الأرغفة" والرب يسوع يوجه لهم بل ولي أيضا ما قاله: "حينئذ تبتدئون تقولون أكلنا قدامك وشربنا ... ورب البيت سيقول لهم أنا لا أعرفكم من أين أنتم" (لو١٣: ٢٦و٢٥) ويوجد قول آخر أكثر خطورة: " الذي أكل خبزي رفع على عقبه" (يو١٣: ١٨).

والآن ها أنا سأتناول إحدى وجبات الطعام اليومية. فهل هذا عمل "**دنيوي**"، هل هو عمل بشري تماما؟ بالتأكيد لا. فإنني أجلس في هذه اللحظة في موضع الخلاء، مع الخمسة آلاف رجل الذين دعوتهم للجلوس. "فرقا فوق الحشيش الأخضر" (مر٦: ٣٩). وأراك تأخذ الخبزات والسمك. ومعك أرفع عيني إلى السماء، مقدما الشكر لأبيك، وأبينا. كما أنني أشكرك أنت الذي تقدم لي طعامي، مهما كان نوعه. فأنا لا آكل فقط في حضرتك، بل أيضا آكل معك. كما أنني أذهب أيضا إلى ذلك البيت في عمواس حيث دخلت "**تمكث**" مع أثنين

من تلاميذك. واجلس معهم الآن على المائدة، أجلس معك: "فلما اتكأ معهما على المائدة أخذ خبزا ..." (لو٢٤: ٣٠). يا سيد، امنحني ألا آخذ أبدا مكاني على المائدة بدون السجود لحضورك غير المنظور في المائدة، إذ تكون أنت المضيف الذي يستقبلني والضيف الذي أستقبله، في نفس الوقت. ليت حضورك يعطي إلهاما **"ونغما"** لكل وجباتي! (النغم؟.آه! أحفظني من حديث المائدة الذي يخنق الروح ويحرجه!).

يا رب، لقد كنت تستطيع أن تعطي مناً من السماء أكثر حلاوة من كل الأطعمة الأرضية، لأولئك الخمسة آلاف رجل الذين أشبعت جوعهم بمعجزة. كنت تستطيع أن تحضر ذلك الخبز الذي أعطيته لهم من أنقى أنواع الدقيق. ولكن لكي تصنع المعجزة، اخترت أكثر الأشياء بساطة وشيوعا: وهي "خمسة أرغفة شعير" (يو٦: ٩). يا سيدن إنني لا أسألك أن ترفعني إلى أعمال النسك البطولية غير العادية، كما إنني لا أسعى لتنظيم غذائي بتكلف شديد. ولكني أسألك هذا على الأقل: دعني كل مرة تكون لي فيها فرصه الاختيار، أن أختار أبسط الأطعمة وأفقرها لآكل كما كنت تأكل في الناصرة، وكما كنت تأكل مع تلاميذك.

ربي يسوع، لقد أطعمت الخمسة آلاف لأنك "تحننت عليهم" (مر٦: ٣٤). وأعطيت الخبزات لتلاميذك لكي يوزعوها لجمع المتعب. وبنفس الروح قلت لنا "إذا صنعت ضيافة أدع المساكين والجدع والعرج والعمي" (لو١٤: ١٣). فهل نحن دعونا الفقراء إلى موائدنا؟ فإذا كنت — لأسباب خارجة عن إرادتي لم أدعهم ولم أعطهم نوعا من المعونة (والمعونة تكون لها قيمة فقط حينما تكون **"مكلفة"** بطريقة أو أخرى)، فعلى الأقل اجعل أفكاري مع الفقراء والمرضى في كل وجبة .. ليت أفكاري تتوسل إلى تحننك! ليت أفكاري تتحد بتحننك أنت، ذلك التحنن الذي شعرت به حينما باركت الخبزات وأكثرتها.

إنك أردت لمعجزة الخبزات أن تعلن وتشير مقدما إلى عشائك الأخير، وفي هاتين المناسبتين شكرت، وكسرت الخبز، ووزعته. يا سيد، أربط بين كل واحدة من **"وجباتي العادية"**، وبين

عشاء العلية "**غير العادي**". أني أجلس على المائدة وأتذكر آية الإنجيل "لو كانت الساعة اتكأ والأثنى عشر رسولا معه" (لو٢٢: ١٤). وأسمع أيضا كلمتك الأخرى "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم" (لو٢٢: ١٥). ولا زالت أحداث السر تحيا ثانية في كسر الخبز وسكب الخمر، والذين عبرت بهما عن موتك الفادي، ونقلته أيضا إلى الناس. يا ربي يسوع، دعني ألا أقوم عن المائدة دون أن أتذكر سرا، آلامك يا مخلصي!.

إن كنيستك، يا رب، تقدم لنا على مذابحها، اشتراكا في ذبيحة الصليب. أنني إلى الآن لم أكن قد تحدثت عن صليبك. وأنني لا أريد أن أفصل سر الجلجثة عن سر العشاء الأخير. ليت كل اشتراك في الافخارستيا يعطيني أكثر من حضورك الحقيقي، وأكثر من مجرد اليقين بالغفران! وبدون خلط بين الجواهر، يعطيني أن أصير واحدا معك.

إني من الناحية المنظورة، أتناول لقمة خبز مكسور "أخذ يسوع خبزا ... وكسره" (مت٢٦: ٢٦). أما من الناحية غير المنظور فإنني أتحد بالجسد الإلهي المكسور والمصلوب. يا رب، حطم في كل شهوة وكل كبرياء. آه يا للانتحار المبارك! فإن الاشتراك في جسد المخلص المذبوح يغرس سيفا في أعماق نفسي. فأموت أنا. ولكن هذا الموت هو ميلاد جديد، ميلاد للشخص الذي أود أن أكونه، والذي يريده الرب يسوع أن يكون. وهذا الموت يجعلني أدخل إلى قيامة المسيح في المجد.

"وأعطاه لتلاميذ" (مت ٢٦: ٢٦). أنني أحصل، في صورة الخبز والخمر، على الجسد الذي يعطيه الرب يسوع لكي نأكله، وعلى الدم المسفوك لأجل البشر. يا رب، أني في قبول "العطية"، "أقدم" نفسي أيضا، فاجعل من حياتي، حياة مبذولة، من الآن فصاعدا.

يا ربي يسوع، لا يكفيني أن أكون مكسورا ومبذولا فيك. بل يجب أن أوزع ويشترك في الآخرون. "أخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين" (يو٦: ١١). وبنفس الطريقة "ثم تناول كأسا وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم" (لو٢٢:

١٧). يا سيد، أنك في معجزة الأرغفة كما في العلية، أردت أن نقسم تقدمتك مكان لأي حقوق إنسانية خاصة. فأنا لست ملكا لأشخاص معينين فقط – وهكذا كنت أنت. لذلك ففي أماكن أي رجل وأي امرأة أن تقول لي، "أنت ملكي، أنت تنتمي إلي أنت هنا لأجلين أنت خادمي" (وذلك مع حفظ حق الله المطلق على كياني دائما). ورسالتي هي أن أوصل هذا الخبز الذي أخذته: "خذوا هذه واقتسموها بينكم" (لو٢٢: ١٧). **"وهذه"** تعني ليس فقط حضورك فر الافخارستيا ونعمة الافخارستيا نفسها بل تعني كل حضورك وكل نعمة أنالها. وفي النهاية فإن **"هذه"** تشمل نفسي أيضا.

"إن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة العالم ... أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلى لا يجوعن ومن يؤمن بي لا يعطش أبدا"(يو٦: ٣٣-٣٥). أن خبز طعامنا اليومي، والخبز الذي وزعه الرب يسوع على الجمع، والخبز الذي أعطاه لتلاميذه في ليلة آلامه، والخبز الذي نكسره، إنما تتحد وتتسامى في ذلك الشخص الذي هو خبز الحياة الأبدي غير المنظور. لأن أطعمتنا الأرضية لا تدوم، والافخارستيا التي نقيمها في الكنيسة ستتوقف في يوم ما، ولكن أنت، يا يسوع،، هو الخبز الحي النازل من السماء، والذي تدوم إلى الآبد. ففي كل لحظة من وجودنا هنا على الأرض كما في الحياة المستقبلة، يمكننا أن نتغذى بك بطريقة غير منظورة.

والآن، أسألك أن تمنحني أن أتذوقك بلا توقف. وأن تأسر بحبك أفكاري وعواطفي، أن تلاشي مني ليس فقط ما هو مضاد لك، بل كل ما هو ليس أنت. كن أنت طعامي الوحيد، طعامي الداخلي المستمر، من خلال كل أوجه الخبز المنظورة التي نكسرها كل يوم، بل عدة مرات كل يوم. يا من تقف على الباب وتقرع، تعال وادخل. "ان فتح لي احد ... أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" (رؤ٣: ٢٠). إنك أنت الذي أريدك، وأقول مع الجمع "يا سيد، أعطنا في كل حين من هذا الخبز" (يو٦: ٣٤).

١٣
نائم في السفينة

" فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ
تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ.
وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. "
(مر٤: ٣٧-٣٨)

ربي يسوع، أن هذا اليوم الذي أردت أن أقضيه معك يقترب من نهايته. ها هو الليل يقترب، وتبتدئ النجوم في الظهور. أنه تكشف لي عظمة الكون واتساعه. وأحيانا تثير في نفسي سؤالا: هل يمكن، في هذا العالم الذي يحسب كل شيء بطريقة علمية، أن ينال المخلوق البشري الضئيل، الاهتمام والمعونة المستمرة من القوة الخالقة نفسها؟ ألا يكون هذا نوع من التجسيم لله كما تتخيله العقول البدائية؟ ولكنني أتذكر أن النجم الذي أرشد المجوس إنما كان يمثل الكون الطبيعي الذي لا نستطيع أن نعرف حدوده. ووقف النجم فوق حيث كان طفل بيت لحم، يدل على تبعية هذا الكون العظيم لتجسد إلهنا المتواضع، وتسخير الكون لأجل خلاص البشر. وبطريقة مماثلة يا رب، أظهرت ذاتك ليوحنا الرائي في جزيرة بطمس، ومعك سبعة كواكب في يدك اليمنى. وكان وجهك يضيء كالشمس وصوتك كصوت مياه كثيرة. فسقط يوحنا مرتعدا عند رجليك كميت، ولكنك وضعت يدك اليمنى عليه تلك اليد نفسها التي تمسك الكواكب، وقلت له "لا تخف" (رؤ١: ١٧). إن خالق العالم هو مخلص شخصي. وإن خلاص أي نفس — ومن ثم خلاص نفسي أنا — هو أكثر أهمية في عينيك من نظام العالم المادي كله.

أن الليل يقترب. وحلول الليل يذكرني بانتصار الظلمة في المجال الروحي أيضا. ويعبر البشير بطريقة دقيقة وحية عن هذا الاتفاق بين الليل والشر، وذلك عندما يشير إلى خروج يهوذا بعد العشاء الأخير فيعلق قائلا "وكان ليلا" (يو١٣: ٣٠). فالليل هو وقت التجربة والخطية لأناس كثيرين. وعندئذ يدخل الليل إلى نفوسهم ظلمة أكثر من ظلمة الليل الطبيعي، يا سيد، أنني أستودع لرحمتك كل الرجال والنساء الذين يسعون في هذه الليلة، ليفعلوا ما هو شر في عينيك.

ولكن دخول الليل هو أيضا وقت إضاءة الأنوار, أن المصابيح تضاء. وهذه المصابيح تخبرني أن الظلام، بل أعماق الظلام لا يستطيع أن يعتم إشراقك وبهاءك. وفي هذه الليلة المقبلة، أعبدك أيها النور المبهج، أيها النور الفرح، الذي قلت "أنا هو نور العالم" (يو٨: ١٢) أن الظلمة الطبيعية يمكن أن تزداد. والظلام الأدبي. يمكن أيضا أن يضغط علي. ويبدو وكأن عمقه يمكن أن يبتلعني. ولكنني لا أخاف شيئا، إذا أخذتك معين وإذا امتلكتك أنت نفسك نورا لي، نورا داخليا فحينئذ تصبح القوات الخارجية بلا قوة أمامه، إنني أكرر كلمات المرنم "بنورك نعاين النور" (مز٣٦: ٩).

كان هذا هو الوقت الذي ألزمك فيك تلميذا عمواس أن تمكث معهما قائلين: "أمكث معنا .. لأن النهار بدأ يميل" (لو٢٤: ٢٩). وأنت لم تتوقف معهما فقط، ولكنك ذهبت إلى المنزل لكي تشاركهما طعامهما ولكي تفتح أعينهما على حضورك! وبنفس الطريقة فغنني في نهاية هذا اليوم أتوسل إليك: أمكث معي هذا المساء، وهذه الليلة. واصنع أكثر من مجرد المكوث معي، بل اجعل هذه الساعات الأخيرة من اليوم، ساعات لها هذا الامتياز، وهو أن أشعر بك ملتصقا بي، وأشعر أنك في داخلي!. ليت هذه الساعات تسهل لي الحوار الشخصي معك الذي أحتاج إليه كثيرا. ليت هذه الساعات تأتيني بواحدة من كلماتك الحميمة الخارجة من شفتيك، والتي تعطي الحياة!

إن الليل هو وقت النوم وسأخضع لحاجة الطبيعة البشرية ومثل المرنم داود: "بسلامة اضطجع بل أيضا أنام" (مز٤: ٨) سأذهب لأنام. ومع هذا فإنك نبهت تلاميذك أن يسهروا. قلت لبطرس: "يا سمعان هل أنت نائم! أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة" (مر١٤: ٣٧). ومرة أخرى قلت لتلاميذك "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف" (مر١٤: ٣٨). حقيقة أن كل ليالينا ليست هي جثيماني. ولكن ألا يمكنني أن أعطيك ساعة واحدة على الأقل في حديث حميم بالليل؟ إن صلاة الليل تبدو أن لها فاعلية خاصة. وبعد أن شرحت أحد أمثالك عن إستجابة الطلبة "في نصف الليل" خنمته قائلا "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (لو١١: ٩). يا سيد، أعطني الرغبة والقوة أن أطلبك – في بعض الأحيان على الأقل – أثناء الليل، وآخذ بعض الوقت من نومي متوسلا إليك أن تحدد أنت بنفسك مقدار هذا الوقت. إنك كنت تصلي أثناء الليل. فليت صلاتي الليلة تكون اشتراكا في صلواتك السرية، وبنوع خاص في صلواتك في البستان ليلة آلامك. آه فإنني من على بعد فقط أستطيع أن أشترك مع المخلص في صلاته لأبيه قبل الدخول في آلامه! ولكن، دع عاطفتك الفادية أن تخترق قلبي وتنتشر فيه، حتى ولو كان ذلك للحظة فقط، كالبرق حينما يبرق ويضيء.

وحتى أثناء النوم، فإنني لا أريد أن أنفصل عنك. وقبل النوم فإنني أكرر سرا تلك الصرخة العظيمة التي نطقت بها على الصليب قبل أن تلفظ النفس الأخير قائلا: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" (لو٢٣: ٤٦). وهنا تكون صلاتي متحدة بصلاتك. وإنك تستودع روحي مع روحك، وهي التي أستودعها أنا نفسي أيضا للآب. إننا نستودع أرواحنا معا، روحي وروحك لحنان الآب غير المخلوق. إنني أستودع روحي متحدة مع روحك وبهذه الطريقة أكون بلا خوف.

إنني نائم، ولكنني لا أكف عن الوجود معك فكيف يكون ذلك؟ إن كل مواقفنا البشرية تأخذ جذورها من مواقفك البشرية. وكل ليلة، فإن نومي يشكل جزءا من نومك الأرضي الخفيف. إنك نمت لكي تقدس نومنا، ولكي تنفذ إليه بنفسك. وفي مرة واحدة فقط أخبر عنك الإنجيل أنك كنت نائما. ولكن هذه المرة الوحيدة تبارك، وتغير وتجلي ذلك الأمر (أي النوم) الذي يستمر بدونك عملا حيوانيا صرفيا.

وفي أحد الأيام دخلت السفينة. وتبعك بعض من تلاميذك ثم قامت عاصفة، وهاجمت الأمواج السفينة ودخلت فيها، فخاف التلاميذ، ولكنك كنت نائما مسندا رأسك على وسادة. وأما التلاميذ فمن خوفهم أيقظوك قائلين "يا سيد نجنا فإننا نهلك". وعندئذ بعد أن قمت، أمرت الرياح والبحر أن تهدأ "فصار هدوء عظيم" (مت٨: ٢٥ و٢٦).

هذه الصورة ليسوع نائما في مؤخرة السفينة بينما العاصفة تثور هي — إن جاز القول — أيقونة لنومي. فإنني أشترك في نوم يسوع. فيمكن أن يحدث قبل نومي أن تهاجمني بعض الصعوبات. أما في أثناء النوم فلا أعود أشعر بهذه الصعوبات، ومع ذلك فإن هذه الصعوبات لا تزال موجودة، إذ أنني سأجدها في الغد مرة أخرى. ومع ذلك فإنها لا تعطل نومي. إن الرياح والأمواج يمكن أن تثور، ولكن يسوع لن يسمح لها أن تزعج هذا النوم الذي أنامه بالقرب منه، فقد أحاط بي هدوء عظيم، وهذا هو هدوء يسوع نفسه.

يا سيد، ربما ستعطيني هذه الليلة، أكثر من مجرد هدوئك، أكثر من مجرد النوم المطمئن والصفاء اللذين كانا لك، واللذين هما لي من خلالك. ربما ستقترب مني سريا أثناء نومي. إن النوم في الكتاب المقدس هو وقت الأحلام والآيات. الليل يمكن أن يكون غنيا بالعلامات الإلهية التي هي أسمى بكثير من الرموز الفقيرة التي يعطيها علماء النفس اعتبارا كثيرا من تفسير الأحلام. فقد رأى يعقوب في حلم، سلما منصوبة على الأرض، ورأسها تلامس السماء، وملائكة الله تصعد وتنزل على تلك السلم. وبالإشارة إلى ذلك الحدث، فإنك أخبرتنا أننا سنرى "السماء

مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يو١: ٥١). يا سيد، ليت بعض ليالي على الأقل تكون مثل ليلة بيت أيل!

إنك عندما ظهرت أمام بيلاطس للمحاكمة، أرسلت إليه زوجته لتقول، أنه ينبغي أن لا تفعل شيئا بذلك البار، أي بك، لأنها أوضحت قائلة "أنني تألمت اليوم كثيرا في حلم لأجله" (مت٢٧: ١٩). يا سيد، أنني أوافق بكل رضا أن أتألم في حلم من أجلك، إذا كان هذا يعطيني أن أتمتع بنظرة خاطفة، أن لم يكن لوجهك، فعلى الأقل لظلك، أ أثر خطوتك. إننا عادة نحلم بما نرغبه، وربما نحبه، فأفتقد أحلامي وتغلغل فيها. لقد أظهرت ذاتك مرارا كثيرة لشهدائك في الليالي التي كانت تسبق استشهادهم. إنني لا أطلب مثل هذه النعم التي منحت لهم، والتي لا أستحقها. آه، يا ليتني أشعر بحضورك ولو بطريقة غامضة، ولكن مؤكدة، هذا إذا كنت لا أقول ليتني أراك.

ربما تؤخذ نفسي مني هذه الليلة. ولكن استودعها بين يديك قبل أن أنام. أن جسدي ينام، ولكن نفسي مستيقظة فيك. وفي ذلك يقول نشيد الأناشيد: "أنا نائمة، وقلبي مستيقظ" (نش٥: ٢). وإذ نمت ونفسي متحدة بنفسك، ملقيا بذلتي كلية عليك، فلن أخاف عندما يصير الصراخ "هو ذا العريس مقبل. فأخرجن للقائه" (مت٢٥: ٦). فسوف أقوم بفرح قائلا: "يا مخلصي، كم انتظرتك مشتقا إليك".

ورغم ذلك يبدو أن الليلة لن تكون الأخيرة، ولا زال هناك يوم آخر سيمنح لي لكي ألتصق بك أكثر. وها الليلة التي كانت سوداء، في طريقها أن تصبح رمادية. وسيشرق النهار حالا. ألا أسمعك مقبلا. أليس هذا هو صوت خطواتك؟ أليس هذا هو صوتك من بعيد؟ "صوت حبيبي. هو ذا آت طائرا فوق الجبال قافزا على التلال" (نش٢: ٨). آه يا يسوع، تعال إليّ في اليوم الجديد.

١٤
صباح القيامة

" لَكَ أَقُولُ قُمْ " (لو٧: ١٤)

عندما أستيقظ أراك معي، وأشعر بحضورك الذي يملأني بهجة. وبحبك الذي يغمرني.

هذا يذكرني بالمرات الكثيرة التي كان فيها تلاميذك، يستيقظون في الصباح أيتم وجودك على الأرض ... نعم أعرف جيدا، لحظات الفجر الجليل، على شاطئ البحيرة، بين طبرية وكفرناحوم. فالعصافير تغني بصوت رائع لم أسمعه في مكان آخر. والشمس تشرق بعد ولكنها بدأت تلقي بأشعة نورها فوق أمواج البحر المترقرق.

وحينما يستيقظ تلاميذك فإنهم يستقبلون اليوم الجديد بفرح، لمعرفتهم أنهم سيسيرون وراءك، وأن كل ساعة يصرفونها معك ستكون سحرا واكتشافا جديدا. إن ما كانت تعد لإعطائه صباحات الجليل، لا يزال يقدم لي في كل مرة أستيقظ في الصباح. "فها أنا اليوم أيضا، سأتبعك ...".

صحواتك يا معلم تعطي قوة لصحواتي أكثر بكثير مما تعطيني صحوات تلاميذك. إنك حينما تصحو، فأول حركة لك لا يمكن أن تكون إلا حركة نحو الآب: " أقوم وأذهب إلى أبي" (لو١٥: ١٨). إن الجملة التي ينسبها المثل إلى الابن الضال تأخذ معنى خاصا وفريدا بالحقيقة حينما تنطقها أنت، فقد كنت تتجه إلى الآب، مع أنك معه دائما، و لم تنفصل عنه أبدا إنني لا استطيع أن أنطق تلك العبارة لأنك أنت وحدك الذي تستطيع نطقها بطريقتك الفريدة. نعم يمكنني أن أذهب إلى الآب كابن مذنب فقط، كابن تائب، يموت من الجوع ومعتز حتى أعماق كياني بالصدمة التي أيقظت مشاعري – وهي إحساسي أني ابتعدت بعيدا عن الصلاح المطلق،

وان كل ما اضطررت أن أشتهيه وأتمناه هو "الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله" (لو١٥: ١٦) و لم يكن يكفي لهذه الصدمة أن تخلق في نفسي إحساسا غامضا بالفشل، أو حنينا لبيت الآب. بل يجب أن تضربني كسوط تصل لسعاته إلى أعماق كياني. عندئذ أكون بهذا قد اختبرت الحزن. يا سيد، أجذبني إلى التوبة منذ بداية اليوم. وأنفخ بروحك فيّ. أمسك بيدي وقدني إلى الآب.

وهو ذا الآب والروح القدس يرسلانك أنت، أنت ذاتك إليّ حاملا للغفران، وواهبا للرجاء. إن الابن الأكبر في مثل الابن الضال، قد غار من أخيه وغضب عليه أما اليوم، منذ لحظة استيقاظي، فإن الابن الأكبر أو الابن الوحيد – الذي هو أيضا أخي الأكبر. إنما يأتي ليبحث عني نيابة عن الآب.

آه يا مخلصي، فحتى قبل أن أستيقظ، أنت حاضر معي. إنك تطلبني: "صوت حبيبي، قارعا، افتحي لي.. حبيبي مد يده من الكوة، فأنت عليه أحشائي ..." (نش٥: ٢و٤). "هو ذا واقف وراء حائطنا، يتطلع من الكوة، يوصوص من الشبابيك، أجاب حبيبي وقال لي: قومي" (نش٢: ٩و١٠).

ربي يسوع، أنا كل يوم جديد هو فرصة لقاء تمنحها لي. وفي كل مرة، فأنت تسبقني لهذا اللقاء, فامنحني إذن أن يبدأ كل يوم باشتياق لهذا اللقاء معك، وبرغبة للنمو في المعرفة والحب. ليت كل استيقاظ يسبب لي فرحا ووعدا بحضورك.

يا ربي يسوع، أنا أعلم أنك هناك تأخذني بين ذراعيك، إنني لا أستطيع، بل ويجب ألا أنسى أولئك الذين لا يعرفونك، أولئك الذين لم تستنر صحواتهم بنورك – الذي هو إشراق الشمس الحقيقية. وأن الذين يقاسون من الفجر الشاحب والمرضى الذين يقتربون من الموت، والمحكوم عليهم بالموت الذين يعيشون في الألم المبرح والذين يحسبون الساعات والدقائق. أولئك الذين يعيشون في قلق ولا يعرفون كيف سيحصلون على طعامهم اليومي، وكيف سيطعمون

أطفالهم، والذين في مرارة وألم يخرجون لعملهم المضني قبل الصباح الباكر، والخاطئ الذي يستيقظ ضميره ولا تزال مرارة الخطية في فمه، كل أولئك الرجال والنساء، أنت تعرفهم يا رب، وتشفق عليهم. فأجعل نفسي تتحد بحنانك من نحوهم، وأجعل روحي تتحد بإرادتك أن لا تدع هذا اليوم يمر بدون أن يحصلوا على معونة إلهية تقدم إليهم في الخفاء.

يا معلم، إنك تقترب مني وتقول لي مثل ابنة يايرس "قومي" (مر٥: ٤١). ولما أمسكت بيدها أعدت لها الحية. والصبية التي كانوا يظنون إنها ماتت، قامت في الحال ومشت. وبهذه الطريقة، فمن خلال عملية الاستيقاظ اليومي، فإنني ألتقط شعاعا من سر القيامة وقوتها.

وأنت أيضا قد قمت. وتركت رقاد الأموات. إنك قمت حيا وممجدا. وها مجد قيامتك يحل على كل صباح من صباحاتنا.

وفي اليوم الأول من الأسبوع، ذهبت مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومة إلى القبر. "وكان ذلك باكرا جدا في الصباح. إذ طلعت الشمس" (مر١٦: ٢). يا رب لا تدع يوما جديدا يأتي ليشرق في حياتي بدون أن تتجه أفكاري نحو قيامتك وبدون أن أذهب بالروح، إلى القبر الفارغ في البستان!

إنه المسيح المقام، هو الذي يأتي إلى كل يوم في الفجر. ومهما كانت ارتباكي وصعوباتي فإن بداية كل أيامي ستكون مشرقة إذا كنت أتذكر — بروحي وبعقلي — أن مخلصي قد هزم كل قوات الشر والموت. إن أول ما يتجه إليه إيماني في كل صباح هو نصرتك النهائية "المحبة قوية كالموت... لهيبها لهيب نار ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة — والسيول لا تغمرها" (نش٨: ٦و٧).

هل تؤمن بهذا يا ابني؟ – إنني أومن، يا رب — إذن فلا مكان هناك، يا أبني للحزن أو الخوف في نفسك، إلا إذا كان الخوف من أن تفقدني أنا الذي هو حياتك.

ربي يسوع، إن كل يوم يمكن أن يكون بالنسبة لي "اليوم الأول من الأسبوع" (مر١٦: ٢)، أي عيد القيامة لذلك أجعل كل صباح يصير لي، صباح القيامة.

إنني أكتب هذه السطور من مدينة أورشليم في صباح عيد القيامة، في ذلك البستان الذي أعطيتني فيه الكثير، لسنوات عديدة، والذي أتصور أنه مثل ذلك البستان الذي فيه وضعت، في القبر الجديد. ووسط النخيل والزهور، وبالقرب من الصخرة المتوهجة بالشمس، وأنني أرى المرآة التي تبكي وتنحني فوق القبر، وأرى المشهد الذي وصفه الإنجيل الذي ظنته البستاني. "والتفتت إلى الوراء" ورأتك "ولم تعلم أنه يسوع" (يو٢٠: ١٤). وعندما قلت لها "يا مريم"!، عند ذلك فقط التفتت أيضا وعرفتك، وصاحت: "ربوني! يا معلم".

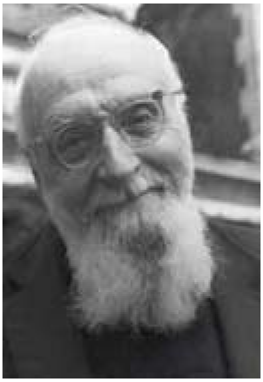
هذه الحادثة توضح طبيعة التحول الفائق. فإن مريم تطلبك ولكنها تبحث عنك بحسب الفكرة التي كونتها عنك. والتي تتمسك بها. وهذا هو السبب في إنها لم تتمكن من معرفتك بالصورة التي بها تظهر ذاتك الآن. إنها ألتفتت إليك مرتين – "والتحول" يشير باختصار إلى عملية "تغيير النفس". وفي المرة الثانية فقط، عندما سمعت أسمها، أدركت حضورك.

إنني لا أعرف كم من الأيام تشاء أن تهبني أن أستيقظها بعد ذلك. ولا أعلم إذا كنت سأسمع ثانية صوت أجراس القيامة في أورشليم. ومع ذلك أتوسل إليك، أن تمنحني أن يكون لي – سريا – بستان أورشليم وصباح القيامة. ليت كل يوم، وكل استيقاظ يعطيني فرح القيامة، ويحضر لي أيضا أعمق تغيير – التغيير الذي به أتحول من صورتك بالأمس إلى صورتك اليوم. دعني أتعرف عليك في كل موقف وفي كل شخص، كما تريد أنت أن تكون معروفا في هذا اليوم بعينه، وليس كما ظهرت لي بالأمس، بل كما تظهر ذاتك الآن، مثل هذا هو التحول، هذا الاستئصال لا يحدث بلا عنف، ولكن هذا هو ما تطلبه أنت. وهؤلاء الأشخاص الجدد، والمواقف الجديدة، التي سأقبلك من خلالها، هي متنوعة جدا، فليت كل صحوة من صحواتي، تصبح استيقاظا إلى حضورك المتنوع جدا، ولقاء **"قيامة"** مع **"المسيح في البستان"**، ذلك

المسيح الذي لم يكن متوقعا قبل ذلك! ليت كل حادثة من حوادث اليوم تصير لحظة فيها أسمعك تناديني باسمي، كما ناديت مريمّ أعطني إذن النعمة أن أتحول إليك. وأعطني أيضا نعمة أن أجاوبك بكلمة واحدة، وأن أناديك بتلك الكلمة الواحدة (ولكن بكل قلبي) "يا معلم"!.

عيد القيامة ١٩٦٠ – أورشليم

حياة الأب ليف جيلليه
١٨٩٢ـ١٩٨٠



في غروب يوم السبت الموافق ٢٩ مارس ١٩٨٠ رقد الأب ليف جيلليه بالغا من العمر ٨٨ عاما. وقد أنتقل بهدوء وسلام وهو على إنفراد في غرفته **بيت القديس باسيليوس** بلندن الذي كان يقيم به منذ ١٩٤٨. فبعد أن خدم القداس الإلهي – قداس سبت لعازر في الصباح، صرف بقية النهار في هدوء وروح فرحة.

كان الأب ليف يفيض محبة وحنانا، وعلاقته مع كل واحد من أصدقائه كانت تتصف بالبساطة والاستقامة اللتان يتميز بهما اللقاء الحقيقي بين شخص وشخص. لذلك فإن أصدقاءه الكثيرين شعروا بعمق الخسارة في فقده. ومع ذلك فإن موته كان أيضا مناسبة فرح، إذ صاحبة الإحساس الواضح – باكتمال عمل حياة كرست لخدمة ربه ومعلمه المسيح، الذي تبعه منذ شبابه المبكر.

خاصية الوداعة:

كان الأب جيلليه رجلا ذو ذكاء نادر نافذ البصيرة واسع المعرفة، ويتمتع بمجموعة كبيرة من المواهب الإنسانية، وكان له حس مرهف ورقيق جدا.

وبالنسبة إليه فإن الله الظاهر في يسوع المسيح هو الحقيقة المطلقة لكل الوجود، وكان يقتات بطريقة خاصة جدا – على الغذاء الروحي للكتاب المقدس، وكانت الشهادة الأساسية للأب جيلليه هي الإيمان بالله: الله المتعالي في العظمة والقدرة، الذي يحيا أزليا في المحبة المعتلة للكنيسة في سر الثالوث، والله الحاضر كخالق وفادي، الذي يحتضن كل واحد من خلائقه في سر المحبة المضحية – بمحبة أبوية منكرة لذاتها لا تكف عن سهرها الحنون.

كان الأب ليف ينظر إلى كل سعي البشر نحو الله، باحترام كبير، لأنه كان يرى أنه ليس هناك إنسان خارج عن دائرة عمل الروح القدس الفعال. وكان له معرفة واسعة متعمقة بكل أديان العالم الكبرى، ولكن لم يختلط الأمر عليه أبدا، إذ كان يميز فرادة الإيمان المسيحي التي تميزه عن كل ديانة أخرى، إذ كان يدرك بعمق أن المسيحية فريدة بسبب وداعة إله شخصي معلن في المسيح.

أخطار المديح والتصفيق:

كثيرا ما كان الأب ليف يبدي ذهولا أمام صفة الوداعة التي يلاحظها في بعض الرجال والنساء. فقد كانت الوداعة تثير فيه أعمق رهبة، وأعمق إحساس بالتوقير. ورغم أنه كان يمدح فضائل كثيرة يراها في الآخرين، ولكن الوداعة فوق كل ما سواها من الفضائل هي التي كانت تقنعه بقداسة شخص ما. ففي الحياة العامة، حتى بين المسيحيين، توجد فضائل كثيرة تجذب الانتباه والمديح، مثل العطاء السخي للفقراء، وبطولة الدفاع عن المظلومين، والعناية بالمرضى والمنبوذين، والغيرة التبشيرية في نشر الإنجيل، أو الدفاع عن الإيمان ضد الهرطقات. وقد كان الأب ليف يقدر تماما كل واحدة من هذه الأعمال، وكان يملك الخصائص البشرية التي كانت تمكنه من أن يسعى للكمال في أي طريق من هذه الطرق. وفي حقيقة الأمر فإنه سار في هذه الطرق حينما سنحا له الفرصة أن يفعل ذلك، وكان يمكن أن يتفوق في أي واحدة منها. ولكنه كان يرى أن أي واحدة منها تتضمن الوصول إلى النجاح بالمفهوم البشري

الذي يصفق له العالم، والذي من خلاله يستطيع المجرب أن يدس شر الكبرياء الروحي خلسة. فقد كانت إحدى إجاباته المميزة، التي يرد بها على أي مدح يوجه 'ليه بسبب أي عمل يكون قد عمله حسنا، هي قوله **"أن الشيطان قد سبق وأخبرني بهذا"** فلم يكن يحكم بالنسبة للآخرين، أما بالنسبة لنفسه فكان يطلب اللؤلؤة الكثيرة الثمن.

بالنسبة لمن يطلب لؤلؤة الوداعة في خدمة الله، فإن الدعوة الرهبانية هي أضمن طريق يسير فيه. ولكن الرهبنة تتخذ أشكالا كثيرة — ورغم أن الأب ليف كان يندر أن يتحدث عن حياته الشخصية، و لم يتكلم أبدا عن دوافعه الروحية — ولكن يبدو أن التقدير الكبير المعطى في التقليد الروحاني السلفي، هو الذي أجتذبه منذ البداية كراهب مبتدئ في الكنائس الشرقية.

السنوات الأولى:

ولد لويس جيلليه في ٨ أغسطس ١٨٩٢ في سانت مارسلين من عائلة فرنسية عريقة، وظل محتفظا بجنسيته الفرنسية كل حياته. ودرس في جرينويل وباريس قبل أن يستدعى للتجنيد في سنة ١٩١٤ عندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى. فأرسل إلى الجبة ليخدم في كتيبة اتصال مع فرق الجيش البريطاني في الخنادق، وخبرته هذه للحرب تركت تأثيرا عميقا عليه. فقد مقت العنف بشدة، ولذلك فعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية، رد أوراق الاستدعاء، رغم أنه كان في ذلك الوقت، مقيما في إنجلترا. وقد أيقظت فيه خدمته في الحرب الأولى مع البريطانيين شعورا بالمحبة العميقة لهم. وهناك أدلة تبين أنه قد صرف الأعوام الثلاثة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى كأسير حرب مع الجنود البريطانيين في ألمانيا، وقد احتفظ بصداقة حميمة مع واحد على الأقل من الجنود الإنجليز الذين كانوا مأسورين معه.

وكانت السنوات التي تلت سنة ١٩١٨ من حياة الأب ليف، فترة مملوءة بنشاط كبير، على المستوى الشخصي وكذلك على المستوى الكنسي. فبعد الحرب مضى إلى الجامعة في جنيف للدراسة، وكان ينتظره مستقبل أكاديمي لامع، ولكنه ترك هذا المستقبل اللامع، ليدخل إلى دير

البندكيتين في فانبورور بإنجلترا، كراهب مبتدئ وبعد فترة الدير أرسل إلى سنت انسلمو في روما لدراسة اللاهوت. وفي أثناء تواجده في روما توثقت علاقته مع **"دوم لامبرت بياودين"** (الذي قام فيما بعد بتأسيس دير البندكتين ذي الطقس المزدوج (بيزنطي ولاتيني) في أماي ببلجيكا والذي انتقل بعد ذلك إلى شيفتوني Chevetogne في بلجيكا وقبل فترة إقامة ليف جيلليه الشاب في سانت انسلمو بروما كان المطران **"أندرو سزى بتيتسكي"** مطران الروم الكاثوليك في لفوف بجاليسيا بأوكرانيا في زيارة لروما لأجل الحصول على تأييد وكساندة بابا روما لآماله المسكونية في عودة الإتحاد بين روما والكنيسة الروسية الأرثوذكسية، إذن فقد كان موضوع الكنائس الشرقية حيا جدا بينما كان الأب جيلليه مقيما في روما.

وكان الملهم لمبادرات الوحدة المسيحية تلك هو **"فلاديمير سولوفيف"**، أحد المفكرين البارزين في القرن التاسع عشر، الذي ألهم برؤيته لكنيسة واحدة، مجموعة صغيرة مكرسة من الروس المتحولين إلى الكاثوليكية أن يؤسسوا كنيسة كاثوليكية على الطقس البيزنطي الروسي، داخل روسيا، لتكون بمثابة "قنطرة" بين النظامين اللاتيني الغربي والأرثوذكسي الشرقي، وكانوا يأملون بهذه الوسيلة أن تعود الشركة الكاملة والإتحاد كامل بين روما وبين الكنيسة الأرثوذكسية. وأن تاريخ هذا المشروع الذي أجهض، قد أسيء فهمة كثيرا، بل قد شوه كثيرا. زكان يقوم بتوجيه هذا المشروع مساعد المطران ليونيد فيدوروف وهو شاب روسي متحول إلى الكاثوليكية، ولكن كان المطران سزي بنيتسكي هو الذي يقوده، إذ كان يعتبر هو القائد الروحي للمشروع. ويمكننا الآن أن نرجع أسباب فشلة عندما نتأمل أحداث الماضي، إلى رؤية المسكونية التي كانت سابقة لعصرها بوقت طويل من ناحية، وإلى انقضاض الثورة الشيوعية التي سرعان ما ابتلعته وأُجهت عليه تماما من ناحية أخرى.

تأثير سزيبتيتسكي:

هذا وأن تقييم المغزى المسكوني لتلك الحركة ليس مكانه هنا. وإنما يكفي أن نقول بالنسبة للشاب الراهب المبتدئ جيلليه، أن مغامرة الإيمان الثلاثية: أي مغامرة: سولوفيف – سزيبتيتسكي – تيدروف الإيمانية، كانت محركا لدعوته أن يخدم الوحدة بين روما والكنيسة الأرثوذكسية. وقد ذكر أحد أخوته الرهبان المبتدئين معه في فانبورو أن لويس جيلليه قد أسرته جاذبية شخصية المطران سزيبتيتسكي بقداستها وذلك في أثناء زيارة قام بها ذلك المطران الأوكراني[٢] لدير فارنبورو. ولذلك ذهب جيلليه إلي **لفوف**ن حيث تبع الطقس السلافي وأكمل فترة الابتداء الرهبانية. وبعد ذلك رسم في رتبة رئيس رهبان (اشمندريت) وأعطى اسم ليف بواسطة المطران سزيبتيسكي.

ولفوف التي كان لها تاريخ ساسي عاصف ومعقد، كانت في ذلك الوقت تحت حكم بولندا. وصار الأب ليف السكرتير الشخصي للمطران سزيبتيتسكي وموضع ثقته، وتلميذه المخلص، وكان يشارك أسقفه مشاركة كاملة في آماله نحو الوحدة. ولكن الأحداث السياسية في سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ والتي نتجت عن الثورة الروسية، وحطمت كل احتمالات النجاح بالنسبة لمشروع الوحدة الروسي، فعاد الأب ليف إلى فرنسا.

تحوله إلى الكنيسة الأرثوذكسية:

بعد عودة الأب ليف إلى فرنسا من لفوف في بولندا، تحول في سنة ١٩٢٨ إلى الكنيسة الروسية الأرثوذكسية بباريس التي كان يرأسها المطران افلوجيوس. وأن تحول الأب ليف إلى الأرثوذكسية بواسطة المطران افلوجيوس عن طريق "الاشتراك في خدمة القداس" هو أحد أسرار حياة الأب ليف، وقد وضع أصدقاءه تفسيرات متنوعة حول دخوله الكنيسة

[٢] في عام ١٩٥٥ بدأت كنيسة روما تبحث مسألة الاعتراف وغبطة وقداسة المطران سزيبتيتسكي.

الأرثوذكسية والتصاقه بها. أما تأكيده الشخصي فقد كان، أنه يتبنى موقف سولوفيف وهو أنه لا يوجد تعارض داخلي بين أن يكون الإنسان كاثوليكيا وفي نفس الوقت يكون في شركة مع الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، لأن الكنيستان منفصلتان بسبب تقلبات تاريخية، وليس بسبب عوائق قانونية.

من فرنسا إلى بريطانيا:

فت الفترة من سنة ١٩٢٨ خدم الأب ككاهن بين الروس الأرثوذكس في باريس، وخدم خاصة بين الشبيبة الأرثوذكسية الروسية هناك، وقام بالتدريس لفترة **بمعهد القديس سرجيوس لللاهوت بباريس**، ثم في سنة ١٩٣٨ أنتقل إلى إنجاترا التي صارت مقر إقامته منذ ذلك الحين. وبدأت صلته **"بجمعية القديس ألبان والقديس سرجيوس"** بلندن منذ الأيام الأولى لتأسيسها، فقد كان المطران افلوجيوس الروسي بباريس أحد مؤسسيها، وكان أول رئيس أرثوذكسي لها.

وصار الأب ليف راعيا للخدمة في الجمعية وسكن في بيت القديس باسيليوس بالجمعية منذ نوفمبر سنة ١٩٤٨. ولكنه كان يشترك في اجتماعاتها منذ قدومه إلى لندن سنة ١٩٣٨ ومنذ ذلك التاريخ حتى انتقاله نشرت له مجلة سوبرنست Sobornost التي تصدرها الجمعية مقالات عديدة بالإضافة للكتب التي نشرتها الجمعية. وكان الأب ليف يرفض دائما أن يحصل على نقود مقابل الخدمات الدينية التي يقدمها. لذلك عندما وصل إلى إنجلترا في ١٩٣٨ن فقد وجد عملا في عدة جهات. فعمل مشرفا لفترة من الوقت على بيت للطلبة في الطرف الشرقي للندن. وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية كان يشتغل بإلقاء المحاضرات في كلية سلى أوك – بيرمنجهام. وعمل فترة من الوقت في جمعية "المسيحيون واليهود: بلندن.

في لبنان والشرق الأوسط:

وفي سنة ١٩٤٨ دعته حركة الشبيبة الأرثوذكسية بلبنان ليخدم فيها مرشدا للشباب. وكان الأب ليف يعطي اهتماما خاصا لهذه الحركة الشبابية – وقد كان له دائما محبة خاصة وتعاطف

مع الشباب عموما – وصار له أصدقاء كثيرون في هذه الحركة صار البعض منهم الآن مطارنة وبطاركة في كنيسة الروم الأرثوذكس بسوريا ولبنان.

وأستمر الأب جيلليه في خدمته بلبنان حتى قرب نهاية عام ١٩٤٨ وبدأ يكتب بمجلة النور منذ ذلك الحين، وأستمر لعدة سنوات لا يكاد يخلو عدد من أعداد المجلة من مقالة أو حديث أو تأمل أو محاضرة للأب جيلليه. وكتب عدة كتب بالفرنسية في لبنان نشرتها له منشورات النور، من بينها كتاب "أبانا"، وكتاب "كن كاهنا لي" وهما الكتابان اللذان تمت ترجمتهما إلى العربية في مصر ونشرتهما دار مجلة مرقس، كما نشرت له مجلة مرقس بعض المقالات المترجمة.

وحتى بعد رجوع الأب جيلليه إلى لندن في نوفمبر ١٩٤٨ بسبب لإصابته بدوسنتاريا حادة، فإنه استمر يزور لبنان والشرق الأوسط سنويا تقريبا. وكان يقضي فترة من الوقت في فلسطين، وخاصة في القدس (أورشليم).

عودته إلى إنجلترا:

رجع الأب جيلليه إلى لندن من لبنان في نوفمبر ١٩٤٨، وقبل حينئذ أن يقيم في بيت القديس باسيليوس على أن يقوم بخدمة القداس الإلهي والإرشاد الروحي في "**جمعية القديس أولبان والقديس سرجيوس**". ولكنه كان يكسب عيشه، بالعمل نصف الوقت، في هيئة "**سبالدنج تراست**" ثم بعد ذلك في "**حركة أديان العالم الكبرى**". وكان هذا العمل يستلزم جدا فكريا في تلخيص ونقد الكتب، واستخراج اقتباسات من الصحف والمجلات.

وأستمر الأب ليف مرشدا روحيا ببيت القديس باسيليوس بلندن حتى انتقاله، فكان يقود الخلوات الروحية، ويعطي أحاديث وتأملات روحية، ولكنه أستمر يزور بلادا عديدة بشكل منتظم في خدمات روحية رعوية. إذ كان البطريرك أثيناغوراس بطريرك القسطنطينية السابق قد عينه مرشدا روحيا لحركات الشبيبة الأرثوذكسية في أوروبا الغربية في الستينات. فكان يزور فرنسا وسويسرا واليونان بالإضافة إلى لبنان.

ورغم أن الأب ليف كان شخصا جادا ومفكرا بصورة عميقة، فإن صداقته الحارة الدافقة للناس، والفرح الذي كان يعيش فيه في لحظات الحياة العامة، ومحبته العميقة جدا لشخص الرب يسوع لدرجة الالتصاق الكامل في روح واحد معه، ومحبته لكل خليقته الله في المملكة الحيوانية أيضا، وروح الاكتفاء والقناعة وهو سعيد بالقليل – وهذا ما لاحظه كل من عاشروه. كل هذه الخصائص إنما هي تعبيرات عن نضوجه، وعن حكمته وإيمانه.

كانت هناك طبعا بعض فترات مظلمة في حياته، مثل أي إنسان آخر: فهناك سوء فهم الناس، والإثارات، والأحزان، والأمراض، والتألم لأجل الأخرين. ولكن في النهاية فإن الإنسان لا يعود يذكر هذه الأمور لأن "الفرح يأتي في الصباح" (مز٣٠: ٥) وهذا هو ما سيكون – بمشيئة الله – حينما يتحد الأب ليف جيلليه بأصدقاءه مرة أخرى ويلاقي سيده ومعلمه وجها لوجه ...

عن مجلة Sobornot

هيللي جيورجياديس

كتابات الأب ليف جيلليه:

١. Orthodox Spirituality لندن ١٩٤٥.

٢. "**صلاة يسوع**" ترجمته ونشرته كنيسة مارجرجس بأسبورتنج سنة ١٩٦١.

٣. "**يسوع ... حوار مع المخلص**" ترجمه عن الإنجليزية أميل عزيز (الأنبا موسى) والدكتور نصحي عبد الشهيد ، ونشرته كنيسة مارجرجس بأسبورتنج سنة ١٩٧٠.

٤. "**الراعي**" ترجمه دكتور أميل عزيز ونشرته كنيسة مارجرس بجزيرة بدران سنة ١٩٧٠.

٥. "**أبانا**" ترجمه عن الفرنسية دكتور رمسيس اسحق ونشرته مكتبة مرقس سنة ١٩٧١.

٦. "**العليقة المشتعلة**" ترجمته ونشرته كنيسة العذراء بالفجالة سنة ١٩٧٢.

٧. "**كن كاهنا لي**" ترجمة الدكتور رمسيس اسحق ونشرته مكتبة مرقس سنة ١٩٧٢.

٨. "**الحمامة والحمل**" ترجمة الدكتور رمسيس اسحق ونشرته بيت التكريس لخدمة الكرازة الكرازة سنة ١٩٧٥.

٩. "**حضور المسيح**" ترجمة ونشره بيت التكريس لخدمة الكرازة سنة ١٩٨١، ١٩٩٣.

١٠. "**وجه النور**" ترجمة د. رمسيس اسحق ونشره بيت التكريس سنة ١٩٨٤.

هذا الكتاب محاولة اختبار حضور المسيح في أعمال حياتنا اليومية العادية.

وهو تكملة لكتاب: "**يسوع ... حوار مع المخلص**"